الضمير في مشنقةِ الحياة

مجموعة قصصية

obeikan.com

الضمير في مشنقة الحياة
قريب الله برير / سوداني
الطبعة الأولى عام 2016
978 - 977 - 6445 - 66 - 6 /ISBN
رقم الايداع:2016/10441

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

المدير التنفيذي: آية عفيفي
تصحيح لغوي: حسين محمد
اخراج داخلي: أيمن فخري
غلاف : NileDesign.com
دار الابداع للنشر والتوزيع
موقع دار الكتب
أبراج عثمان- كورنيش المعادي
القاهرة - مصر
هاتف: 0100-205-2266
E-mail: info@Daralkotob.com
www. Daralkotob.com

الضمير في مشنقةِ الحياة

obeikan.com

obeikan.com

الإهداء

إذا كان هناك ثمة عِظَم في حياتي

فوراءه أمي...

إلي أمي الحبيبة فاطمة...

أهدي مجموعتي القصصية هذي...

**** *** *** *** ***

يـــا هديـــة ربي.. يا ريحانة قلبـــي

يـــا شمعة ميـــلادي.. يا فـرح أعيادي

يـــا نسمـــة صيفي.. يا اعـــتدال كيفي

يـــا دفء شمسي.. يا منيـــة نفســـي

يا عزيزة قومي.. يا حكاية ما قبل نومي

يا إحســاس الهنـــاء.. ويا حبـيبتـــي أنا

obeikan.com

obeikan.com

تقديم:

ما بعد القراءة الثالثة

"مشنقة بريـر".. نصوص تغتال الضمير

"الضميـر في مشـنقة الحيـاة" مجموعـة قصصـية هـي الثانيـة في النشـر لكاتبهـا الشـاب القـاصّ قـريب الله بـريـر، سـبقتها مجموعـة "حكايات الشـتاء الحزينـة"؛ يمكـن قـراءتها بوصـفها تجليـات لصـورة الواقـع الأخيـر والمتعاقـب في السـودان، حجـم التمزقـات والآمـال والمسافات الفاصلة بينهما، وإن كان ذلك يختصـر الخطاب والأسـلوب الفني ويحيله إلى ثنايا رسـالة أدبيـة وأشـواق مسـترسلة تبحـث عـن ضمائر تسكن فيها، رغم كون الإبداع الجديد كما القديم لا يخلـو مـن رسائل مستبطنة ولهف مستمـر لملء فـراغات الحياة وعورها.

يكتب بـريـر، ببساطة ويُسطـر مـروياته بتلقائيـة دون أن يكـون لـه اهـتمام كبيـر بمـا يـدور في أذهـان النّقّـاد مـن قوالـب وتقنيـات وغيـرها مـن متـاريس، كـما أنـه قـد لا يحفـل بقارئـه ليحقـق متعـة وجمالية فعل الكتابة لذاته. فهو يتجـاوز كـل "المشـانق" إلى مـا المحـكي مباشـرة، ما يـرغب أن يـر ويه أو يقُصّه لنا، ليخلـق لنـا التسـلية والمتعـة

ويدسّ في تلافيفها السمّ الزُعاف، القاتل، يرهن القارئ لسطوة أن تعيش الحيرة ما بين بحثك عن ما بددته من حبور وطرب وما خرجت به من ألم وتوحش.

في كل القصص تقريباً، هناك سمات عامة تميّز النصوص أو تُشكّل فضاءاتها العامة؛ اللغة التي طابعها الجنيني؛ الحنين والاشتياق إلى الغائب، ذلك المتبدد، المفارق للمعنى القريب، الذي يكون سهلاً استرجاعه، أي هي مهمة التقصي- العسير لتأوهات المتبقي من الزمن، السياسة الخرقاء، لعبة الحب التي يمكن أن تصبح، أو أصبحت فعلياً لافتة للتحوّل الاجتماعي الكبير الذي انتهى إليه الوطن.

إن الحب هنا يختصر لنا ببساطة كل شيء، كل شيء تقريبا بلا مبالغة!!

إنه يؤسطر العالم الحي ويجعله غير مألوف، مرعب ومهلك، وأناني. يجعلنا نفكر أن الحياة ليست إلا مشنقة كبيرة، كما جاء في شظايا العنوان المختار للمجموعة، ومن وراء ذلك تكون قسوة البحث عن الضمير الذي مصيره الموت.

لئن كنت لا أؤمن بتقديم التجارب الإبداعية، فإن ما أكتبه هنا؛ هي أشبه بخواطر متناثرة عمّا قرأته وعنّ لي في سطور النصوص، هي الإيحاءات الشخصية التي تهمني في فعل الكتابة وارتهانها، تلك المهمة الملوّعة، والحماقة الأبدية التي تخترق اللحظة لتظل خالدة.

هي تلك اللغة التي تمزّق مشيمة الغيب والغياب، ليكون هناك أكثر من عنوان يمكن استخلاصها من وراء العنوان الأوضح: عناوين متعلقة بلعبة السياسة القذرة، بالبريق الكاذب، بالشزوفرينيا، بالشجن اللامتناهي، والأنين، والبحث عن فرسان الأحلام الموءودة، ثم تطاير الأشواق في حثّ مستمر للذات أن تكون مخلصة للوجود والحياة والمعنى إن وجدت.

لكننا نعيش زمن الحذفّ!!

بهذا المعنى فالنصوص، تأخذنا إلى الشنق، الإعدام، الموت، نهاية زمن يكاد يكون جميلاً كما يتباهى الزمن نفسه في بعض القصص، زمن الطفولة -مثلاً- التي هي انعكاسات لسير ة الكاتب كما تبدو أحياناً أو هي ذكريات المرآة التي يمكن أن تشير لما وراء المتخيل، ومن ثم أزمان الرهان الآني الخاسر، كما تفضحها القصص، وحيث يبدو الخيال مجاراة لواقع لا سبيل لافتر اسه لأنه أعمق جوعاً، ليصبح القصّ هو التشبث بالأمل والذكرى والمضمون الذي يتفكك.

متى كنا؟ وأين نحن؟

وإلى ماذا ستقودنا الحياة؟ ونحن في ذلك التراب، ما بين الهجرة والحضور؟

الأنا والآخر..

وكلانا معلقين على المشنقة؟

تلك الأسئلة المـريـرة. والإجابات الأكثـر مـرارة. والثمن الذي لا تدفعه إلا الأحلام والطموحات، في نصوص تبدد الأمل تماما لـتعلن عـن مـيلاد صـرخة، وبداية أوجـاع جديـدة عـلّ الشـفاء يكـون في القــراءة مــرة وثانية وثالثة..

في انتظـار الأوهـام الجديـدة.. وفي مقابـل لعبـة الأقـدار.. في التلهـف لخمس عشـر سنة وأخـرى تمضي. يكـون لنـا الحضـور الأبـدي في مواجهـة الغياب الأبدي.. ونواجه معا حسـرات ودموع وشظف وبضع قلق جميل. إنها نصوص تغتال الضميـر.. وهكذا يـراد من غواية الفنون.

عماد البليك- كاتب وروائي وناقد سوداني

سلطنة عمان - 2016

obeikan.com

الضرير

لقد أصبت بالعمى منذ سن الثامنة..
لم تفلح محاولات الأطباء في شفائي..
فنشأت على هذا الحال حتى تزوجت..
وقبل أن أهم بالخروج من بيتي لبعض شأني..
كنت دائمًا أرتدي نظارتي السوداء التي تخفف حدة أشعة الشمس عني..
وأتوكأ على عكازي الذي يعينني على تحسس معالم الطريق..
جاري الطيب يأتي لتفقد أحوالي دائمًا، زوجتي تقدم له القهوة، وأحيانًا العصير..
كنت أكنّ له جزيل الامتنان على صنيعه هذا، وأقدر لزوجتي حرصها الدائم على تبييض وجهي أمام ضيوفي...
ندمائي على المقهى يضحكون فرحاً وقت قدومي، كأنهم يحتفون بعزيز عاد بعد طول غياب ، فأُكْبِر فيهم حبهم لي هذا...
القصّاب الذي يقبع محله بالقرب من بيتي..
كان يلهج بالبشر والترحاب حالما يراني، ويقدمني على جميع زبائنه ، فيزيد إحترامي وتقديري له...
ذات يوم قدم قريب لي، وأخبرني بأن هنالك طبيب عيون ماهرًا يريد أن يعرضني عليه...
ذهبتُ دون أن أخبر زوجتي بمقصدي، قلت لها كاذباً: أنا وقريبي في زيارة لصديق قديم...

كتب الله لي الشفاء على يديّ ذاك الطبيب...

ولما عدت إلى البيت.. لم أخبر أحدًا بشفائي، وأدعيت العمى..

ليس إستوهابًا للتعاطف، لكن أردت أن أرى كيف تسير الحياة كما بالسابق دون أن ألفت إنتباه من حولي إلى وجودي...

أرتديت نظارتي السوداء، وأخذت عكازي كعادتي...

وها أنا أرى.. ويا ليتني لم أر؛ لقد رأيت عجبًا !!!

رأيت أن جارنا الذي كنت أحسبه طيبًا لم يكن طيبًا أبدًا....

ولم يكن يأتي إلى بيتي لتفقد أحوالي كما ظننت، بل يأتي لمغازلة زوجتي الجميلة بإيماءاته وملاحقتها بعينيه الثاقبتين...

وكانت حرمي المصون تشاركه الإثم بتبادل النظرات والابتسام...

ندمائي على المقهى ما كانوا يضحكون فرحاً بلقائي.. بل كانوا يضحكون تهكماً وسخريةً من خطواتي المتعثرة في السير..

القصّاب لم يكن يلهج بالبشر والترحاب بكلماته اللطيفة مجاملةً - أو حتى إشفاقًا - بل كان يستغل حالة الضرر التي بي ليغشني في اللحم...

هكذا تَجَلَّت لي الحقيقة المرة ، فتمنيت في تلك اللحظة لو أنني لم أبصر...

لم أفضل العمى على الإبصار لشيء سوى لأحتفظ لأولئك الذين أحببتهم وخذلوني بصورة جميلة...

عوضًا عن هذه الصورة المشروخة التي أرتسمت في مخيّلتي حالما فتحت عينيَ مبصراً...

المقعد

كانت الحافلة ممتلئةً عن آخرها بالرُكّاب.. ولم يبق بها مقعد خال..
بعض الركاب الذين في عجلة من أمرهم لم ينتظروا الحافلة القادمة..
بل فضلوا الوقوف على الممشى (شَمّاعَة)..
أكتظ الممشى بالركاب الواقفين..
وعلى طول المحطات.. كان السائق الجشع يقف من حين لآخر؛ ليقل الركاب رغم تكدس الممشى بالمتزاحمين..
صعدتْ هذه إمرأة بدينة.. تتصبب عرقًا...
لهاثها المفضوح يبيّن لأي مدًى هي مجهدة..
وقفت إلى جانب أحد الجالسين..
كان شاباً وسيماً يبدو على محياه حسن الخلق..
وبجانبها يقف شاب آخر يضع يده على كتف الشاب الجالس..
نظرت المرأة إلى الشاب الوسيم الجالس، وانهالت صابةً جام غضبها عليه: هيي هيي إتّ القاعد دا.. ما لك.. ما شايفني أنا مَرَةْ كبيرة وزي أمك؟! ما لك ما وقفت لي؟! ما عيب عليك؟! شباب آخر زمن.. عديمين مُـرَوّة ورجولة.. إتّ ما شاب وراجل؟! هسي- دي كان أختك ولاّ خالتك؟! ما كان قمت ليها؟! يخسي عليكم وعلي تربيتكم.
أراد الشاب الآخر الذي يقف بجانب الشاب الجالس أن يتكلم.. لكن المرأة لم تمهله، وتوجهت بسبابها المشين نحوه: إتّ ذاتك زييّو واحد،

لو قبيل في مكانو دا ما كان وقفت لَيّ.. إيّ أنا عارفاااااااكم أولاد الزمن دا.. بقيتوا ما مؤدبين ولا عندكم عِرْفَه.. أخييّ أولاد شنو ديل آ يمه.

جحظت عيون الرَكّاب من جرأة المرأة وتعديها السافر على الشابين بغير وجه حق...

شرع الشاب الجالس بالبكاء.. صار يبكي بكاءَ ممضاً، وأرتفع صوته بالنحيب حتى سمعه آخر راكب بمؤخر الحافلة..

فلما توجهت الأنظار إلى الشاب الذي يبكي بحرقة وأمعنوا النظر إليه؛ وجدوه مُقْعَدًا مشلول الأرجل لا يستطيع الوقوف ولا الحركة..

والشاب الذي يجلس بجانبه كان رفيقه الذي يلازمه في كل خطوة، يدفع له عربته المثبتة على سطح الحافلة.. فأراد أن يوضح لتلك السيدة ظروف الشاب؛ فلم تمهله، وأنهالت عليهما بشتائمها اللاذعة...

تعلقتْ عيون الركاب الغاضبة بالسيدة، وعلت بوجهها الأصوات المؤنبة؛ فلم تـ ستطع مواصلة مشوارها ونزلت بغير محطتها؛ هربًا من أصوات الركاب الزاجرة...

الفقد فجيعة الموت

كنت في ربيع الصبا طفلاً يافعاً...

وكانت في حينا امرأة عجوز طيبة تدعى "نفيسة".

تسكن وحدها في بيت بسيط من الحطب والحصير...

فجراً تبيع "الزلابية" لسكان الحي، ووقت الضحى الحلوى والمكسرات لأطفال المدارس..

وأنا - دون إخوتي - كنت آتيها فجراً حاملًا إنائي ونقودي...

ما زلت أذكر هيئتها العفوية الملهمة..

أجدها جالسةً على مقعد وطيء خلف موقد الفحم الذي تتوهج "طوّاهُ" تحت جمر حامٍ يغلي داخلها الزيت، والذي تتراقص علية بإغراء حبيبات الزلابية ككرات منتفخة..

وعن يمينها تغلي "كافتيرة" الشاي وتتصاعد أبخرتها في زهو...

وعن يسارها تقبع الصينية المتكومة بالزلابية...

بينها وبين الموقد إناء العجين المتخمر المشرئب...

وعلى ركن "الراكوبة* " يشع مصباح الكيروسين بضوء صافٍ...

على المنضدة الخشبية المطلية بلون أزرق فاتح ينساب صوت المذياع الريان بأذكار الصباح المفرحة...

وعلى مقربة من العجوز.. كانت هنالك قطتها الرابضة قرب الموقد تتلذذ بدفء النار مغمضة العينين، تحرك ذيلها بنشوة...

فما إن يؤذن الفجر حتى تزكم الزلابية أنفي وتملأ رئتيَ الصغيرتين برائحتها المشهية؛ حتى أطير من فراشي كمن لدغتة عقرب...

أفرك عينيَ الناعستين بظهر أكفي، ثم أقصد منشفة غسيل الأواني وآخذ" البستلة"، ثم آتي أمي الجالسة على سجادة الصلاة والتي تمد كفيها المتضرعين بالدعاء لتفك لي النقود من عقدة طرف ثوبها...

مرتدياً "تي شيرت" قصيراً ورداءَ أقصر.. عاري الساقين.. حافي الأرجل.. أهرول إلى بيت العجوز عبر الممر الضيق مأسوراً برائحة الزلابية الشيقة...

فما إن تراني تلك المرأة الطيبة حتى تضع كل ما بيدها وتحتضني بدفء حانٍ يضاهي دفء الموقد، ثم تمطرني قبلًا...

تأخذ مني الإناء، وتجلسني قربها وأنا أنظر إليها بحب وإلى صينية الزلابية بشهية ، فتترجم نظرتيّ، الأولى بقبلة على خدي، والثانية بقطعة زلابية على كفي...

فأبتسم ابتسامةً طفوليةً آسرةً تعبر عن مدى إمتناني للعمق الإنساني الذي تتشبع به روح العجوز..

وتأتي قطتها الأليفة لتتكوّر بين قدميّ وتتمسح بهما؛ محاولةً إستدرار عطفي وإثارة اهتمامي؛ فأمد أناملي الرقيقة مداعباً فروتها الوثيرة؛ فتحرك ذيلها كأنها تشكرني...

ومن ثَمَّ تملأ لي العجوز الإناء، وتقول لي بمحبة موصيةً : خلي بالك من الطريق، وسلّم لي على أمك كويس.

بعدها بأيّام ماتت العجوز، عرفت ذلك عندما صحوت ذات يوم ولم أجد في أنفاسي تلك الرائحة الشهية ، لأسأل أمي ، فتحتضنني وتقول لي بعبرة: حبوبة نفيسة ماتت، وجوا أهلها أمس أخدوها.

لم أكن أعرف كلمة موت وقتئذٍ، حاولت أمي أن تفسر لي بلغة بسيطة تناسب عقليتي ما معنى (موت)...

فلم أعرف معناها إلا حينما تملصت من بين أحضانها مهرولًا وهي تسعى جاهدة لتثنيني عن الذهاب...

وجدت بيت العجوز قد تهاوى إحساسه حينما غابت عنه إبتسامتها وأنطفأ داخله شعاع مصباح الكيروسين الوضيء، وخَيّمتْ عليه الوحشة والظلمة والفناء...

طواة الزلابية مغمورة بالتراب منكفئة على الأرض...

منضدة الراديو متكئة على جنبها كأنها تشكو فجيعتها وتندب حظها...

القطة رفيقة العجوز تدور حول البيت في ضياع تموء بالعراء مواءَ حزيناً يبعث على الرثاء ، يمزق الشعور ويقطع نياط القلب...

رجعتُ إلى البيت تبللني الدموع وأجهش بالبكاء ضائع الوجهة متجهم الوجه والإحساس..

عرفت معنى كلمة موت فقط عندما فقدت صباحاً رائحة الزلابية في أنفاسي..

وحينما فقدت دفء حضن العجوز وابتسامتها العذبة ..

لما فقدت قطتها الحميمة التي كانت تتمسح بأرجلي تستجدي عطفي..

ووقتما فقدت وصيتها بأن أتوخى حذري على الطريق..

حينها فقط أدركت أن كلمة موت تعني فقدان أعز ما تحب وأغلى ما تملك.

---

*الراكوبة : سقيفة من الحصير تبنى في فناء الدار

البريق الكاذب

على أسطح بنايات الحي الحضري المتطاولة..
مجّ الشعاع ريقه المستحلب من ثدي الشمس المترعة بالضياء...
وتنسّم القاطنون نفحات عبق إشراقات الفجر الوضيء المنتشرة كالأشعة على قمم البيوت...
رؤى.. فتاة تقطن ذاك الحي المرمري الإنشاء، والمأهول بنخبة السكان...
جميلة الملامح.. متناسقة القسمات.. نبيلة الخطى...
حوراء العينين.. فاتنة الألحاظ.. ممشوقة القوام...
تتصنع الدلال في نطقها ومشيها...
لها غمازتان مرتسمتان على خديها المتوردين تأسران قلوب الشباب، وتثيران الغيرة في نفوس العذارى...
حينما تبتسم؛ تزهر الأشواك، وتفيض الأشواق، ويرهف النسيم مسترقًا النظر...
كانت تدّعي كتابة الأدب بكل ضروبه...
لكن في الحقيقة كتاباتها ركيكة ممجوجة الكلمات، لا ترتقي للذوق العام..
كقطعة إنشائية متواضعة لطالبة إبتدائي ..
مثيرةً للنقد والسخرية والإستهجان...

أصـدقاؤها عـلى الصـفحات الإسـفيرية يشـعلون حماسـها ويثـيرون إحسـاس التحفيـز ورفـع الـروح المعنو يـة فيهـا بتعليقـاتهم المُطْرِيـة الجوفاء؛ كسباً لمشاعرها وقربها...

فما إن تنزل منشوراً على صفحتها على "الفيس بوك" إلا وتنهال عليها الإعجابات مطراً، ويتكالب عليها الأصدقاء معلقين بإطراء متملق...

يصورون لها أدبيتها الوهمية على أنها عظيمة نادرة...

وأنها تضاهي أحلام مستغانمي في الروايـة، ونـازك الملائكـة في الشـعر، وليلى بعلبكي في القصة، وغادة السمان في الخواطر النثرية...

سرت حمى الإعجاب في عقلها؛ فاتسعت هوة هلامية أدبيتهـا المزيفـة المتمثلة كبريق لامع لوعاء أجوف....

كانـت لا تقبـل النقـد ولا النصـائح العامـة، فـما مـن شـخص يقـوم بانتقادها على غير ما تهوى إلا وقامت بحظره من قائمة الأصدقاء ..

شجعها بعض أصدقائها على أن تجمع ما ألّفت في كتاب؛ حتى يتسـنى لها وضع إسـمها عـلى قائمـة الكتّـاب الكبـار؛ مـما يعـزز عامـل الثقـة داخلها، ويمنحها التألق...

سرحت بخيالها البهيمـي تسـترهص وتستشرف آفـاق مسـتقبلها الأدبي الواعد.

تخيلت نفسها تعتلي منصة الإبداع، يرتسم على صـدرها وسـام التميـز في الأدب على مستوى فعاليات الثقافة والفكر في البلاد...

أشمخرت روحها المعنوية في زهو وخيلاء، وتدفقت مشاعر الغرور تملأ نفسها الموهومة بنجومية زائفة...

جمعت كل ما جادت به قريحتها السمجة من مؤلفات هشة، ووافت بها مبنى المصنفات الأدبية والفنية؛ أملاً في الحصول على إذن بالنشر...

كانت اللجنة مؤلفةً من صفوة من الكتّاب والنقاد والأدباء الذين لهم باع طويل في حقل الأدب، وأسماؤهم أعلام سامقة يشار إليها بالبنان...

كانت خيبتها وحسرتها كبيرتين عندما أطّلعت على قرار أعضاء اللجنة حيال مؤلفاتها...

كتب أحدهم: "إن هذه المؤلفات لا تمت للأدب بصلة؛ فهي مجرد غثاء لا ينتمي إلى الأدب المعاصر ولا حتى التقليدي"...

وكتب آخر: "من وجهة نظري النقدية أن هذا المنتوج هو نسخة مشوهة لكتابات سطحية الفكرة، ركيكة الأسلوب، مضمحلة المتن، لا يمكن تصنيفها أو إدراجها تحت أي مسمى أدبي".

الأخير أكتفى بقوله: "أقل ما يمكن أن أطلقه على هذه المخطوطة أنها غير صالحة للنشر"...

عادت رؤى إلى البيت مشروخة الخاطر، مهيضة القلب، محطمة الروح المعنوية، ومهزوزة الثقة ..

فور وصولها أغلقت عليها باب الغرفة وأرتمت على سريرها، وشرعت تبكي بحرقة.

ثم بأعصاب مهتاجة بإحساس هستيري حاد عمدت إلى تمزيق مؤلفاتها وما تحويه مكتبتها الصغيرة من روايات ودواوين شعرية ثم نثرها من خلال النافذة، بعد ذلك توجهت إلى جهاز الحاسوب وقامت بإغلاق حسابها على فيسبوك...

الضمير في مشنقة الحياة

وقف خلف قضبان المحكمة شاب في ريعان العمر، ملامحه طفولية، جسمه رشيق ناحل، وعروقه نافرة، عيناه دعجاويتان مكحولتان، وسيماه توحي بأنه (ابن ناس).. هندامه المتواضع يصمه بالفقر المدقع..

الهيئة الثلاثية يتوسطها قاضي المحكمة العليا..

بدا ثلاثتهم صارمي الوجوه مهيبي الطلعة..

شرع ممثل النيابة يتلو خطبةً عصماء يجرّم فيها الشاب القابع في قفص الإتهام..

تفنن ممثل النيابة في إختيار كلمات تبيّن بربرية الشاب وتصف كيف أنه لا يملك أدنى إحساس بالإنسانية، وذلك حينما طَوَّعت له نفسه الأمارة بالسوء قتل مدير المستشفى وإبنه، من غير أن تأخذه بهما شفقة أو رحمةً..

وعندما خلصت النيابة من تلاوة خطابها التجريمي بحق الشاب ؛ قالت موجهةً خطابها لهيئة المحكمة: ونحن نلتمس من هيئة عدالتكم الموقرة ألا تأخذها شفقة أو رحمة بحق هذا المجرم؛ لكي يكون عظةً وعبرةً لكل من تسول له نفسه الشريرة الإعتداء على حرمة الدم بلا وجه حق..

وكذلك أعقب النيابة ممثل الإدّعاء - محامي المجني عليهما- وكذلك برع هو الآخر في تأليب هيئة المحكمة على المتهم الشاب بوصف

إنشائي بليغ مصحوب بالأدلة والشهود، ما إن يسمعه أي قاضٍ حتى لا يتوانى في لف حبل المشنقة حول رقبة المتهم..

لم يكن هنالك ثمة من يدافع عن الشاب، لم يحضر أحد..

وقبل أن تكلّف هيئة المحكمة أحد المحامين بالدفاع عن المتهم؛ نهض الشاب واستأذن القاضي بالتطوع بالدفاع عن نفسه..

وجمت وجوه الحاضرين، وتطلعت إلى الشاب الهزيل بشفقة؛ فقد كان وضعه بائساً جدًا، وحاله يرثى له...

قال له القاضي بصوت رحيم مبدياً التعاطف: تفضل يا بُنَيّ.. ماذا تريد أن تقول؟؟؟

قال الشاب موجهًا حديثه للحضور: أنا يا سيادة القاضي لا أريد الدفاع عن نفسي؛ فقانون الغابة لم يكفل للفقراء والمعدمين حق الدفاع عن أنفسهم.. أريد فقط توجيه رسالة إلى المجتمع الذي أعيش فيه، المجتمع الذي لا يدري من أنا ومن أكون؟؟؟

أنا يا سيادة القاضي نشأت في كنف أسرة متدينة وورعة، كانت أنموذجاً يحتذى به للأسرة المسلمة...

أمي وأبي وأنا وأختي الصغرى هم أفرادها...

أختي يا سيادة القاضي طفلة حفظت القرآن كاملًا وهي في سن التاسعة..

صحيح نحن فقراء، والفقر ليس عيباً، ولكنه عار في هذا المجتمع الذي لا يحترم آدمية الإنسان، ومعيار التقييم الوحيد فيه بقدر ما تملك في جيبك يكون احترامك..

أختي يا سيادة القاضي طفلة جميلة الملامح، كانت فرحتها الكبرى أن تقتني بالونةً حمراء تملؤها بهواء رئتيها الواهنتين، وتربطها بخيط ثم ترميها في الهواء وتلبث تطاردها في فناء البيت بفرح...

أختي يا سيادة القاضي لم تحلم بأكثر من بالونة، بالونة فقط!!

لأن الأحلام في بلاد المسلمين محرمة على الفقراء والمعدمين والكادحين من أجل اللقمة أمثالنا...

ذات يوم يا سيادة القاضي خرجت أختي مرتديةً عبائتها السوداء القديمة المهترئة ومتحجبة بطرحة بنية اللون...

كان وجه أختي يا سيادة القاضي جميلاً كوجه مَلَك....

وكانت أختي عندما تضحك يمتليء فضاء البيت بالسعادة...

تشرق الشمس في دارنا ويزورنا القمر...

تتفتح الأزهار وتفوح في فناء البيت الرياحين...

كل الجيران كانوا يحبونها ويألفونها ويسعدون بزيارتها لهم...

كانت أختي يا سيادة القاضي كريمةً وعيناها طيبتان كعيني أرنب وديع...

كانت أختي يا سيادة القاضي تخاف من الصراصير وليس بمقدورها إيذاء نملة....

في ذلك اليوم يا سيادة القاضي وأختي تخرج للمدرسة - وأثناء عبورها الشارع- إبن جارنا الغني الذي لم يزرنا يوماً - ولم نتطلع لزيارته- كان يقود سيارة والده المتغطرس في غفلة منه..

كان الشاب المراهق يا سيادة القاضي يقود بسرعة جنونية، بكل تهور، وبلا هوادة، لم يراعِ حق الطريق، ولا حرمة العابرين...

بكل قسوة ولا مبالاة - يا سيادة القاضي - دهس أختي البريئة بعنف تلك السيارة...

تطايرت كتب أختي يا سيادة القاضي في الهواء كما تتطاير أوراق الأشجار المُتَحاتّة في مهب الريح...

تكوّم جسد أختي النحيل يا سيادة القاضي تحت إطارات السيارة، وتحطمت أضلعها الواهنة كرقائق البطاطا بين قضم الأسنان...

دهسها يا سيادة القاضي ذاك الشاب المتعجرف وذهب كأنه دهس قطةً شريرةً!

لم يسمع يا سيادة القاضي أحد صوت أختي المتألم؛ لأن ثقل السيارة الهدّام أخرس صوتها للأبد...

فر الشاب الجبان يا سيادة القاضي، ولو لم يره عمي جابر مؤذن مسجد الحي لراح دم أختي هدراً...

أمي لم تحتمل هول الموقف؛ فقد كانت طفلتها الوحيدة ورفيقة وحدتها...

أرتفع ضغط الدم عندها مما سبب لها جلطةً دماغيةً أصابتها بشلل نصفي...

لم يسكت أبي، وعلا صوته الغاضب المستهجن المطالب بالقصاص من قاتل أختي، وأقام الدنيا ولم يقعدها.

والد الشاب الطائش لم يكن إنساناً يا سيادة القاضي؛ بل كان وحشاً في ثوب آدمي، ولأنه ذو نفوذ وسلطة، وعلاقاته لاحقة بالمسئولين في الدولة ؛ لفّق لأبي تهمة التحرش الجنسي بفتاة في الحي لكي يخرس صوته الثائر.

أبي يا سيادة القاضي الرجل الورع الذي يخطب بالناس على المنبر ويؤم المصلين في الصلاة يُتَّهَم بالتحرش الجنسي بفتاة في سن إبنته!!!!

هذا عدل يا سيادة القاضي؟! أين العدل يا ممثل العدل في بلاد الظالمين؟؟

ولأنه رجل فقير ولا يملك سطوة الحفاظ على شرفه يُمَزَّق على مرأى من المجتمع. المجتمع يا سيادة القاضي الذي أتى اليوم ليحتفي بإصدارك حكماً بالشنق ضدي.

أُودِع أبي الطيب البريء السجن يا سيادة القاضي، وكل من يعرفه يشهد له بالنزاهة والصدق والأمانة والإستقامة.

لم يستطع أبي تَحَمّل الظلم والجور الواقع عليه من قبل النظام ؛ فمات بين جدران السجن مفجوعاً !!

عدتُ من السفر يا سيادة القاضي لتصدمني الحقيقة المرة.

ألهمني الله يا سيادة القاضي قوةً إيمانيةً أواجه بها صعوبة الموقف...

أخذتُ أمي التي ترقد طريحة الفراش إلى المستشفى، كان حالها يا سيادة القاضي يغني عن السؤال.

أسأل الحضور: من منهم لم يعرف شيخة سعاد؟! كل الناس تعرف أمي شيخة سعاد يا سيادة القاضي، أمي يا سيادة القاضي المرأة الصالحة التي تعلمت القرآن وعلمته. كانت تعلّم الفتيات والنساء القرآن في مسجد الحي.

خرجّت أمي يا سيادة القاضي أجيالًا من النساء الحافظات لكتاب الله، ونالت شهادات تقديرية وأوسمةً كثيرةً من جمعيات القرآن الكريم ومؤسسات الدعوة والإرشاد...

وكُرِّمَت أكثر من مرة، واختيرت المُدرّسة المثالية ثلاث مرات على التوالي.

ذهبتُ بأمي للمستشفى؛ فلم يكن معي حق العلاج؛ فقد كان مكلفاً..
مكلفاً للغاية يا سيادة القاضي، كنت أتقطّع ألماً وأنا أرى أمي تموت أمام عَيْنَيّ ولا أستطيع فعل شيء حيالها، ذهبت إلى مدير المستشفى، وأفاجأ بأنه الرجل الذي قتل إبنه أختي !!
رغم ذلك ذهبت إليه ورجوته أن ينقذ أمي من الموت، وأن يسمح للطبيب بإجراء العملية لها.
بكل قسوة يا سيادة القاضي أحرجني، وقال لي بصوته المستفز: هذه ليست منظمةً خيريةً ولا مؤسسةً طوعيةً.. هذه مستشفى.. من يملك حق العلاج يُعَالَج، ومن لم يملك فلا يأتينا..
هكذا يُعَامل أهل القرآن يا سيادة القاضي..
ظلت أمي أسبوعاً تأخذ المسكنات حتى فارقت الحياة يا سيادة القاضي..
ماتت أمي شيخة سعادة؛ لأنني لم أكن أملك ثمن علاجها..
هكذا يموت الطيبون في بلاد المسلمين يا سيادة القاضي، في بلاد دينهم الذي يقول على لسان نبيهم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".
هذا هو الدَّيْن الذي يدين به مجتمعي يا سيادة القاضي..
عندما توفيت أمي يا سيادة القاضي ذ هبتُ لآخذها لكي أُغَسِّلها وأدفنها؛ فأُفَاجَأ بالمدير الجشع يقول لي بصوته الوحشي الذي ليس فيه مثقال ذرة من رحمة: لن نسمح لك بأخذ جثمان أمك، وستظل في مشرحة المستشفى ما لم تدفع ثمن الأيام التي قضتها والدتك معنا !!

لم أحتمل يا سيادة القاضي وأنا أرى الرجل الذي قتل أهلي وقوّض بنيان أسرتي يتعامل معي بهذا الصلف والعنجهية المؤلمة.

أختي كانت أجمل طفلة في الحي...

أمي كانت أطيب امرأة في الحي...

أبي كان الأكثر ورعاً بين رجال الحي...

وأنا.. أنا لا أريد التحدث عن نفسي يا سيادة القاضي..

فأنا كنت عائلهم يا سيادة القاضي...

ضحيت بعمري وأفنيت زهرة شبابي لأجلهم...

كنت أول الفصل؛ فتركتُ الدراسة لأجلهم..

وفي النهاية يقتلهم هذا الوحش بلا رأفة...

ولما تملكني الثأر وفاض بي الغضب أخذت قائم النافذة الحديدية من على الأرض، وتوجهت ناحية المدير وإبنه، وهويتُ على رأسيهما، وصرت أضربهما بعنف وبإنتقام حتى تهشمت جمجمتاهما الهشتان وتساقطتا على الأرض..

ثم غادرتُ المكان تاركهما خلفي غارقين في دمائهما، لم أهرب كما هرب ذاك الشاب الجبان حينما دهس أختي، ولكنني اتصلت بالشرطة وسلمتها نفسي..

قبل أن تحكم عليّ بالإعدام يا سيادة القاضي أستميحك عذراً أن تنظر إلى هذه الشهادات، هذه الأولى الخضراء هي شهادة تقديرية منحتها لأمي جمعية الفرقان لتحفيظ القرآن ؛عرفاناً منها بدورها الرائد في خدمة القرآن الكريم .

وهذه الثانية الزرقاء هي شهادة أمانة منحت لأبي من قبل شرطة القسم الأوسط تقديراً لأمانته ونزاهته؛ وذلك عندما عثر على حقيبة مليئة بالمال وسلمها للشرطة في حين أننا أفقر أسرة في الحي.

وهذه البيضاء شهادة منحتها خلوة النور لأختي التي لقت حتفها تحت سيارة ذاك الشاب العدواني، مُنِحَت لأختي كأصغر طفلة تحفظ القرآن في زمن قياسي..

وأما هذه الصفراء الباهتة المهترئة هي شهادة نتيجة آخر العام لي أنا في الصف السادس الابتدائي، كنت ساعتها الأول على الصف، ولولا الظروف القاهرة التي أبعدتني عن الدراسة لكنت اليوم طبيباً أو مهندساً أو ربما أصبحت قاضياً مثل حضرتك يا سيادة القاضي أجلس على هذه المنصة وأكون بذلك فرداً ناجحاً يخدم مجتمعه..

المجتمع الذي أعدم ضميره بمشنقة الحياة؛ فمات وشبع موتاً وصار لا يرى سوى الجائرين بشراً، ولا يصفق إلاّ للظلم والقمع، ولا ينحني إلاّ للمادة.... المجتمع الذي لم يتعرف إلينا ولم يحس أوجاعنا ولم يشعر بوجودنا ونحن بينه...

المجتمع الذي يعدم ضميره ليس لي شرف الانتماء له أو العيش فيه..

لم يجد القاضي سبيلاً لخلاص الشاب رغم علمه بأنه مظلوم؛ فقد كانت كل الأدلة والشهود ضده؛ فأصدر القاضي حكمه على الشاب بالإعدام شنقاً حتى الموت، وأنهارعلى إثرها مغشياً عليه من تأثير موقف الظلم الواقع على الشاب، وضجت قاعة المحكمة بالعويل والدموع؛ تعاطفاً مع ذاك الشاب المغرر به وبأسرته المنكوبة.....

لعنة الأقدار

أسماء طفلة صغيـرة تعيش مع أبيها وأمها...
أبوها عامل حفـر يعمل بالأجـرة اليومية...
تجففه الشمس وهو يبحث عن عمل ما هنا وهناك...
ستـرته المهتـرئة المغسولة بالعـرق تنم عن تواضعه وفقـره المدقع...
أجـرته زهيدة لم تتجاو ز الثلاثين جنيهًا...
يأتي آخـر النهار حاملًا بعض الخضار، خمسةً مـن أرغفـة الخبـز،رطلين من الحليب، وقطعة شوكولاة لأسماء...
وحينما يلج البيـت يجـد أسـماء في انتظـاره عـلى عتبـة البـاب، يفـرد ذراعيه ويحتضنها ويمطـر ها قبلًا، ويبتسـم في وجههـا ابتسـامةً ملؤهـا الحب والعطف، ويعطيها قطعة الشوكولاة..
ذات يوم تأخـر الأب عن مواعيده المعتادة التي يأتي فيها إلى البيت..
ولما يأسوا من البحث والسؤال عنه؛ جاءهم الخبـر المفجـع بأنـه وجـد ميتًا بجانب خط السكة الحديدية..
غاب الأب وغابت معه أفـراح المسـاء، الأحضـان الدافئـة، الابتسـامة، وقطعة الحلوى.
كانت الأم تتقطّع ألمًا عندما تحاصـر ها أسئلة ابنتها التي لا تملك إجابةً لها: أمي.. أين أبي؟ إني أريد شوكولاة أمي..

كانت أسماء آخر كل نهار تضع يدها على خدها تنتظر قبلة المساء.. قطعة الحلوى، وأباها الذي لن يعود أبدًا..

لم يكن لأسماء عم أو خال يعتني بهما بعد موت والدها..

فأبوها قدم من الشمالية كأي شخص قست عليه ظروف الحياة في بلدته وأتى إلى الخرطوم باحثًا عن عمل يسترزق منه..

اضطرت الأم إلى أن تعمل لسد عوز ما أحدثته الأقدار؛ فالفقر مر والزمن لا يرحم والناس لا يبالون..

عملت في بيوت أحد الأثرياء العامرة بالترف، تكنس، تغسل الأواني، وتلمع الزجاج والأرضيات.

تلك البيوت التي لا يغشاها العوز ولا تزورها قرصات الجوع...

فكانت تأتي بأسماء معها إلى العمل..

أخبرتها صاحبة البيت ذات يوم بألا تأتي بابنتها معها، رغم أن الطفلة كانت في غاية الر قة واللطف، هادئةً لدرجة أنك لا تشعر بوجودها لولا رؤيتها أمامك..

تر جتها باستعطاف أن تسمح لها باصطحابها معها، مبينةً لها أنه ليس لأسماء أحد غيرها يمكنه الاعتناء بها في غيابها؛ فهي طفلة لا تستطيع تركها لوحدها في البيت، وتخشى أن تتأذى..

أجابتها بصرامة: إذا لم تستطعي تركها لوحدها إذن اجلسي معها بالبيت، الخيار لكِ، إما أن تأتي وحدكِ أو لا تأتي..

اضطرت أم أسماء أن تتر ك ابنتها وحدها بالبيت، بعد أن أمّنت مداخل البيت ومخارجه، وأوصتها بألا تفتح الباب لأحد..

فالجوع عدوٌ غاشم، والظروف النحسة تجيد لعبة التواطؤ مع جبروت الأقدار دوماً .

قبّلت الأم إبنتها وضمتها لصدرها بكل حنو الأمومة ودفئها، وخرجت تذرف الدمع ولا تدري بأن تلك القبلة هي الأخيرة...

وفي ذاك الصباح والشمس تعلو في الأفق مرمى حجر، جاء موظف هيئة المياه لتسليمهم فاتورة الماء...

طرق الباب عدة طر قات قوية متلاحقة، لم يجبه أحد، وقف برهةً ثم عاد لطرق الباب مجدداً بصورة أكثر قوةً وتلاحقاً...

همّ بالمغادرة، لولا أن سمع صوت خطوات هادئة تأتي صوبه...

عَدَّل من هندامه ووقف بجانب الباب ينتظر القادم، لكن طال به الإنتظار إلى حد الملل، وما من وجه يطل عليه...

و لما رأى إنقطاع الخطوات وخفوت حركتها؛ أخذ يتطلّع عبر ثقوب الباب الخشبية ..

رأى عينيّ الطفلة تناوران بوجل عبر فتحات الباب المغلق...

أقبل نحوها، حنى قامته حتى تناسب طولها، وقال لها عبر ثقب الباب: أفتحي الباب؛ فأنا عمك، أجابته بأنه ليس هناك غيرها، وأن أمها أوصتها بألاّ تفتح الباب لأحد...

كانت فتحة الباب مناسبة لتمكّن كلاهما من رؤية الثاني بوضوح...

نظر الموظف إلى الطفلة؛ فتحركت في داخله أفكار شيطانية...

تذكّر ديونه المتراكمة، والسندات التي كتبها للبنك الذي موّل له مشروعه التجاري الخاسر، والتي تبقى على سدادها شهر واحد، وإلا

سيكون السجن مصيره، وكذلك ذهب بذاكرته إلى مدام نهى زوجة رجل الأعمال المشهور الذي ينافس إسمه في سوق دبي العالمي، والتي وهبها الله كل شيء عدا الأطفال، فجرّبت كل الوسائل الممكنة لأجل الإنجاب، لكنها كانت بلا فائدة، وتذكر كذلك وعدها له بأنه إذا أحضر لها طفلةً لاقت إعجابها؛ فستعطيه مكافأةً ماليةً تنتشله من فقره وتخلصه من تلك الديون التي تحاصره...

نظر الموظف إلى أسماء، فوجدها طفلةً جميلةً بريئةً ذات ملامح وديعة؛ فأضمر في نفسه الشر، وحدّث نفسه بأن هذه الطفلة هي طوق نجاته من السجن.

أستطاع أن يقنع الطفلة بالمجيء معه، وبأن والدتها هي من أرسلته للمجيء بها...

أخذها الموظف إلى بيت إحدى السيدات اللائي لا يبالين بفعل المحرمات، وفوراً قام بإجراء مكالمة لمدام نهى، وأخبرها بأنه تحصّل لها على ما طلبت بالضبط .

أرسلت له السيدة سيارةً فارهةً حسب العنوان المعني أقلته إلى فيلتها بأحد الأحياء الراقية بالعاصمة...

أعجبت السيدة بأسماء جدًا؛ لهدوئها وبرائتها الأثيرة؛ فوافقت فوراً على تبنيها، وأشترطت على الموظف - بعد أن أعطته المكافأة - أنها لا تريد أن ترى وجهه مرةً أخرى، وهددته بأنها ستتخلص منه إذا ما أحست بأنه يشكل مصدر إزعاج أو قلق عليها ..

جاءت أم أسماء وجلى تضطرد أنفاسها رعباً، ودقات قلبها تنبؤها بأن ثمة مكروه قد حدث لابنتها، فكانت طول الطريق تعاتب نفسها، وتلعن الظروف التي أجبرتها على ترك طفلتها بالبيت وحدها، وقطعت عهداً على نفسها بأنها إذا ما وجدتها سليمةً فلن تتركها وحدها مرةً أخرى أبداً، حتى وإن طردتها صاحبة المنزل من العمل ..

خفق قلبها فزعاً حينما رأت باب البيت مفتوحاً، دخلت البيت وهي تنادى بأعلى صوتها: أسماء.. أسماء.. أين أنتِ يا صغيرتي؟!

لم تدع مخبئاً بالبيت يمكن أن تجد فيه إبنتها إلاّ وبحثت فيه، سألت الجيران، المارة، وأطفال المدارس دون فائدة، وأخذت تولول بالصياح والعويل تندب حظها وتتحسر على تفريطها في إبنتها الوحيدة .

طفقت أم أسماء تجوب شوارع العاصمة حافية الأرجل حاسرة الرأس، تيبست شفتاها وجفت في محجريها الدموع وأنقطع في حلقها النواح، تسأل بلا مجيب .

كان الناس ينظرون إليها بين مشفق عليها ومتعاطف معها دون أن يتطوع أحد لمساعدتها؛ فلم يكن لها وجيع غير ذاك الزوج الطيب الذي كان فجيعتها وحسرتها المرة.

لم تستطع أم أسماء مقاومة البحث وصدمة فقدها إبنتها؛ فتكوّمت مغشياً عليها عند رصيف أحد الطرق الداخلية...

أخذت السيدة الطفلة وطار ت بها إلى دبي، بينما نُقِلَت الأم إلى أقرب مركز صحي بواسطة سيارة إسعاف، لم تحتمل الأم ألم فقد إبنتها؛

ظلت أسبوعاً تنادي إسم إبنتها الضائعة دون مرافق أو كثير اهتمام من جانب المشفى ..

عاشت أسماء بدبي غارقةً في الرفاهية والدلال، كانت في بادئ الأمر تبكي وتنادي أمها، تظل الليالي نائحةً، ولكن خفّت نوبة بكائها تدريجياً مع الوقت؛ فقد نجحت السيدة في إحتوائها وتهوين حدة الفقد عليها برغد العيش ومغريات الهوى .

لم تكن أسماء لتنسى والدتها؛ فقد ظلت محفورةً في ذاكرتها بعمق، فما إن تغفل عنها بمشاغل الحياة حتى تعود تذكرها؛ فتبكي وتملأ فضاء المكان بنواحها؛ فتأتي السيدة تربت عليها محاولةً تلطيف أجوائها بكلمات رقيقة حانية؛ فلقد أفهمتها سابقاً أن أمها لقيت حتفها في حادث حركة مؤلم..

قضت أم أسماء خمس عشرة سنة تُعَالَج في المصحة بلا أمل في الاستشفاء؛ فقد تدهورت صحتها وساء حالها؛ حتى توفيت بحسرتها على فلذة كبدها وإبنتها الوحيدة، ونقلت إلى مشرحة مستشفى الخرطوم للتحفظ عليها ريثما يجدون من يتعرف عليها....

لم يكن لعامل تقدم العمر ولا تلاحق السنوات أن يُنسي أسماء صورة والدتها؛ فقد كانت تمثل جزءَ حياً في وجودها.

لم يمض يوم أو يومان إلا وتراها في منامها، أو يتمثل لها طيفها الودود في صحوها، وكلما كبرت كبر معها تعلقها وحبها لأمها ..

تخرجت أسماء في كلية الطب، وتخصصت في الطب الشرعي بتفوق، وصارت طبيبةً ناجحةً تدلف إلى العمل الإنساني بعقل متفتح وروح طيبة وإحساس مفعم بتباشير المستقبل المشرق ..

عادت السيدة إلى السودان لتستقر بالخرطوم بعد أن تدهورت أعمال زوجها التجارية في دبي وفقد الكثير من ثروته ..

عُيِّنَت أسماء في مستشفى الخرطوم مشرفةً على قسم الطب الشرعي بالمستشفى .

وفي يوم من الأيام - وهي تتحدث لطالبات الطب الشرعي بمشرحة المستشفى عن كيفية فحص الجثث وكتابة تقرير الوفاة - ذهبت لإحدى الجثث المحفوظة؛ لتريهم كيف يتم ذلك عملياً، وما إن وقعت عيناها على وجه الجثة المسجّاة على الطاولة؛ حتى صرخت صرخةً مدوية فقدت عقلها على إثرها؛ إذ كانت الجثة المسجّاة جثة والدتها!!

obeikan.com

لقد رأيته

كان عشقها له كالحريق في المباني القديمة...
ألتهم كل شيء في وجودها...
ملك قلبها الصغير وتمكّن منه...
كانت تناجيه.. تحس به يملأ جوانحها ويتدفق في إحساسها كفرح مقيم...
تهفو نفسها ويتوق خاطرها إليه...
تشعر به كقيمة مثالية لا شبيه لها...
تعلق قلبها به لدرجة لا يمكن تصورها...
فكلما ذكرته؛ كانت تبكي حتى تحمر عيناها...
فتاة صغيرة تفتح ذراعيها للحياة بأعوامها العشرة...
كفيفة البصر.. رزينة الملامح.. صبوحة الوجه...
تظهر عليها علامات التقوى والصلاح...
ثلاثة لا يفارقنها: حجابها.. مصحفها.. ومسبحتها....
بكل روحانية اللحظة وقدسيتها كانت تحبه...
فهو الوحيد في حياتها الذي شغل حيّزاً لا يملؤه الفراغ...
كانت أمنيتها الوحيدة أن تفتح عينيها و تراه.. ثم تغمضهما ثانيةً للأبد...
ولكنه لم يكن هناك.. حيث تطاله العين أو يدركه البصر...
قالت لأمها ذات يوم وهي مستغرقة في التفكير به: أمي.. صفيه لي؟

شرعت الأم تصف لها ملامحه بكل دقة، وحين أنتهت من الوصف..
شهقت الصبية شهقةً كادت تخرج فيها روحها...
زاد تعلقها وشغفها به...
وحميت رغبتها في رؤيته والتمتع بناظره...
طلبت من أمها أن توجه لها السجادة نحو القبلة لتصلي...
شرعت في الصلاة بقامتها النحيلة المنحية بالخشوع...
ولما فرغت من صلاتها.. صارت تسأل الله وتجأر بالدعاء أن يمكنها من رؤيته..
أستسلمت الصبية لنوم هادىء ونفس مطمئنة بالإيمان والذكر...
وما إن تنفس الصبح بنسماته الطيبة المباركة؛ حتى صحت الطفلة من منامها فزعةً وهي تصرخ وتنادي أمها بأعلى صوتها، وهي تمد يديها المرتعشتين تتحس طريقها بين الأثاث المتراص في سَبات، ودموعها المنهمرة على خدودها تتدفق بغزارة، وهي تقول بصوتها المتهدج بالبكاء: أمي أمي.. لقد رأيته.. لقد رأيته !!
ضمتها أمها بين أحضانها مربتةً عليها بحنو، محاولةً أن تهوّن عليها رهبة الموقف، وهي تقول لها متسائلةً بصوت مسكون بالغرابة: من هو الذي رأيتيه يا إبنتي؟
أجابت الطفلة وهي تدس رأسها في منامة والدتها - وتكاد تخنقها عبرة البكاء -: رأيت النبي يا أمي.. رأيت النبي!

بثينة

رجلٌ أُنْجِبَت له طفلة جديدة..
كان فرحاً بها جداً، تغمر مشاعره سعادة جارفة...
عزم على تسميتها اسماً مختلفاً يكون له مدلول ومعنى...
نظر إلى الأسماء حوله؛ رآها كلها مستهلكةً..
فهو يريد أن يسميها إسماً لم يسبقه إليه أحد...
أنهكه التفكير في وجود ذاك الإسم..
وذات يوم - وبينما هو يتسكع - قادته قدماه إلى النيل..
فأخذ يسير في محاذاته إلى قرية مجاورة...
وفي مدخل القرية رأى الرجل بستاناً كثير الأشجار، وارف الظلال، داني الثمار...
أعجبه البستان؛ فأراد من باب الفضول أن يعرف لمن يعود هذا البستان الثر..
أقترب من حارس البستان الصبي، وسأله - بعد أن ألقى عليه التحية - : لمن يا ترى يعود هذا البستان؟
ضحك الصبي حتى بانت نواجذه، وأجابه: هذا ليس بستاناً.. هذه روضة، ألا ترى
اللافتة المثبتة على البوابة؟
كانت هناك لافتة مكتوب عليها بخط رديء: روضة سيد الحاج علي.

هـزّ الرجـل رأسـه بتعجـب، ثـم قـال مسـتفهماً: إذن.. مـا الفـرق بـين البستان والروضة؟

شرع الصبي يطوف بالرجل خلال الحقل النيّر الذي تتدلى ثمار الفاكهـة من أفرع أشجاره وهو يشرح له الفرق بين البستان والروضـة ويوضـح له بإطناب المعنى الحقيقي للروضة...

وفي نهاية المطاف.. أعطى الصبي بعض الثمار للرجل وقال له بابتسامة وهو يودعه: آمل أن تكون قد أعجبتك الروضة؟

أجابه الرجـل وكلماتـه تلهـج بالشـكر الجزيـل: بكـل تأكيـد أعجبتنـي، وأعجبني مسماها الجميل، وكذلك بلاغتك الرائعة أيها الصبي المبارك.

واصل الرجل مسيره، وعزم بينه وبين نفسه على تسمية إبنته (روضة)؛ تيمناً بذاك الحقل المثمر الطيب.

وبينما كان يخطو، إذ به يمر بشيخ كبير يتبدى عـلى ملامحـه الإرهـاق؛ قد أنهكه العمل وأكده الجهد..

بجانبه على الأرض المنبسطة المهيأة للزراعة طعام في إناء من الألومنيوم..

أنتهى الشيخ لتوه من تركيب ساقية الري علي الأرض..

ألقى الرجل التحية على الشيخ دون أن يوليه وجهه، لكن الشيخ لم يمهله بعد أن ردّ عليه التحية، بل تمادى في دعوته بإلحاح مقسماً عليه أن يشاركه زاده.

أعتذر الرجل منه، لكن الشيخ لم ينفك يدعه.

تَبَرّم الرجـل مـن تصرف الشـيخ الغريـب، وعـلى مضـض.. وافـق عـلى مشاركة الشيخ زاده.

كان الشيخ ثرثاراً، لم ينفك يتحدث عن أرضه وشغفه بها، وكيف أنها خصبة ومباركة، وأورد للرجل التفاصيل عن كمية الإنتاج الوفير والفائدة العظيمة التي جناها منها.

دهش الرجل بما يقصه عليه الشيخ.....

ولبث ينظر إلى الأرض كأنه يراها للمرة الأولى.

كانت أرقاماً خرافيةً عن الإنتاج العظيم الذي أنتجته الأرض خلال فترة وجيزة جداً!

أخذ الرجل حفنةً من تراب الأرض المحروثة وفتتها بين أصابعه؛ فوجدها رخوةً هينةً تنبيء بخصوبة نادرة...

كانت الأرض منبسطةً، مستويةً، مقسّمةً إلى أحواض بطريقة هندسية رائعة، تنشق خلالها الجداول وقنوات الري بشيء يثير الإعجاب والدهشة.

ترك الشيخ وهو مأخوذ بأرضه المسطحة المنتجة ويقول لنفسه: الأرض كلمة ذات دلالة عظيمة، ثم يضيف مبتسماً: لكن للأسف لا تصلح لإسم طفلة..

واصل الرجل مسيره إلى أن أنتهى به المطاف إلى إنحناء النيل عند نهاية القرية، عند شاطئها الرملي المحفوف بالخضرة والأشجار .

جلس يستجم لدقائق وهو مشغول الفكر بإسم مولودته الجديدة، وأثناء ما كان على هذا الحال إذ أقبلت عليه فتاة جميلة المحيا، تفصح تفاصيل جسمها عن أنوثة جبارة لا تخطئها عين، تاركةً خلفها عجوز تحت شجرة سيسبان عتيقة..

لبث منبهراً بجمالها ومأخوذاً بسحرها، فلما رأى أنها تقصده وقف منتظراً وصولها.

صافحته بدفء.. بإبتسامة ريانة ندية، هيجت في نفسه مكامن الشوق، وأثارت فيه لوعة الهوى..

سألته عما إذا كان هذا الطريق هو المؤدي لتلك القرية المسماة "قرية الروضة"، دلها على الطريق الصحيح وقلبه المرهف يكاد يقفز من بين جوانحه وراءها..

شكرته بإبتسامة أحلى من الأولى، وقف مبهوراً بها مشدوهاً بجمالها الفاتن وملامحها الجاذبة، تمتم في حسرة: فتاة جميلة ناعمة البشرة بضة الملمس، ريانة، ساحرة، سبحان من سواكِ يا من ملكني هواكِ! ثم قال ضاحكاً يحدث نفسه: لماذا لم أسألها عن اسمها لعله يصلح لإبنتي...

رجع البيت يجرجر أذيال الخيبة، بعد مشوار مسائي ممتزج بالكلال والجمال قابل فيه أروع وأغرب ثلاثة مشاهد حركت داخله إحساس العجب وأنعشت فيه روح الجمال، روضة الصبي، أرض الشيخ، وفتاة الشاطيء.

سألته زوجته ما إذا كان قد وجد اسماً جميلاً يمكنهما إطلاقه على إبنتهما الوليدة، فغداً يومها السابع وهو يوم عقيقتها؟ أجابها بخيبة أمل بالنفي وهو ما زال موغلاً في تفكيره، وأثناء ذلك وقع بصره على كتاب يقبع في ركن قصي من البيت، ممزق الغلاف مهتريء الأوراق، ألتقطه ولبث يقلّب صفحاته بغية التعرف على هويته؛ أتضح له من خلال تضاعيفه مسماهُ: (المعجم الوجيز)؛ فواصل تقليب صفحاته بشيء من الاهتمام عساه يحصل على مبتغاه..

وأثناء بحثه العشوائي لمح على إحدى الصفحات إسم (بثينة)، حرّضه فضوله على معرفة معنى هذا الإسم؛ خاصةً أنه إسم أنثى مشهور، وهو أيضاً إسم محبوبة الشاعر العربي المعروف جميل بن معمر المشهور بها: (جميل بثينة)....

وقد دهش للتفسير اللغوي لمعنى كلمة بثينة.....

بثينة هي تصغير لبثنة، والتصغير هنا لغرض التدليل..

البثنة هي الروضة...

البثنة هي الأرض الطيبة السهلة الإنبات...

والبثنة هي الفتاة البضة الناعمة...

على الفور تذكر روضة الصبي، أرض الشيخ، وفتاة الشاطيء؛ فهتف في زوجته بفرح كأرخميدس: وجدته.. وجدته..

قالت له زوجته بوجل: ما الذي وجدته؟ قال: إسم طفلتنا..

قالت بفضول: ما هو إذن؟؟؟

قال: سنسميها بثينة!

obeikan.com

فارس أحلامي

كانت كاتبةً موهوبةً وشاعرةً مطبوعةً...
روائيةً بارعةً وقاصَّةً مجيدةً...
تكتب عن الحب كأجمل ما تكون الكتابة...
تعبّرعن هموم جيلها بكل حياد وبلا مواربة...
وبكل ما يشكل الوجدان ويثير المشاعر بصدق وشفافية...
كلماتها عذبة، سلسة، وعميقة...
تسبي القلوب وتأسر العقول...
مطبوعاتها الأدبية تكاد تكون في مكتبة كل بيت؛ لما فيها من المصداقية والعمق الفكري الإنساني النبيل..
أرتبط إسمها بالحب وقصص الغرام، فكلما ذُكِرَ الحب ذُكِرَت هي..
جميلة الملامح، ساحرة العيون، أخاذّة النظرات كما كلماتها المعسولة الرائعة...
فهي آنسة لم يسبق لها الزواج...
أستضافها نادي القصة للكاتبات الشابات...
طرحت عليها مقدمة البرنامج على مشارف الختام سؤالاً ..
قالت لها: إن أخواتنا الكاتبات يردنْ أن يعرفن من هو فارس أحلام كاتبتنا الجميلة...
أجابت بعد أن رسمت على شفتيها الملونتين بالأحمر ابتسامةً ذكيةً ذات مغزى: أكثر ما يعجبني فيه صدقه، وشفافيته عندما يتحدث...
أثق به لدرجة بعيدة، وأئتمنه على حياتي؛ لأنه الوحيد الذي لا يخذلني ولا يخونني..

كل واحدة منكن يمكن أن يكون لها فارس أحلام مشابه، لكنه أبداً لـن يكون كفارس أحلامي الجميل هذا !!!

عندما يحدثني بلباقته المعتـادة ويأخـذني بأسـلوبه الشـائق أشـعر أني أسيرة كلماته الرائعة وعباراته المفعمة بالود ، فأحلق معه في فضـاءات الألفة، وأجول معه حول مدارات الاندهاش...

أتسكع معه في منتجعات الفرح، وأهيم به على شواطىء التحنان...

يأخذني في فسحة إلى حدائق الحب، ويغازلني على ضفاف القمر...

يهديني وردةً عند الشروق، وقصيدة شعر عند الغروب...

عندما أحزن يكون سلواي وعزائي...

وعندما أُجْرَح يبقى بلسمي وترياقي.....

هو الذي يعد ولا يخلف ويصدق ولا يكذب...

هو الحبيب الذي لا يجفو والرفيق الذي لا أمل في صحبته...

حفظه الله لي وأدام المحبة والمودة والوفاء بيننا...

سكتت؛ فداهمها الكاتبات سائلات بفضول: لكن لم تقولي لنا من هو؟..

نظرت إلى عيونهن المتشوقة للإجابة، وأبتسمت في وجوههن المتطلعـة لمعرفة الحقيقة، وقالت: إن فارس أحلامي هو هذا.. مشيرةً إلى قلمها!

obeikan.com

الحكيم

مر رجلٌ عجوز بامرأة تحمل طفلاً رضيعاً
ومعها بعض الفتيات يلغطن...
كان الرجل قويّ البنية رغم إخناء الدهر
وتكالب السنين عليه...
متغضن الملامح.. غائر العينين....
متهدّل الجفنين.. خفيف الشارب.. أشيب اللحية...
عريض المنكبين.. مع إحديداب قليل في ظهره...
يتوكأ على عصاه، ويحمل بيده الأخرى إبريق ماء...
ينتعل خُفيّن خفيفين من جلد الماعز...
يضع على رأسه قلنسوةً حريريةً خضراء اللون...
يرتدي جلابيةً من خامة الدبلان...
رائحتها المعتقة ببخور اللبان تذكرك برائحة الأضرحة.. حنوط الموتى، وقدسية التوابيت العتيقة...
أشتهر الرجل في مجتمع القرية بإسم (الحكيم)؛ كنايةً عن الورع، والزهد، والحكمة، والفطنة، ونفاذ البصيرة...
كان رغم وقاره ومهابته يغلب على طابعه المرح...

وكان الناس يحبون مجالسته والإستماع إلى حكاياته المدهشة المفعمة بالحكمة والتقوى والفضيلة والتجارب الناضجة...

سألته المرأة بنبرة أقرب للإبتسام منها إلى الضحك: في نظرك.. ما هو الحب يا سيدي الشيخ؟؟!!

نظر الرجل إليها كأنه لم يسمع السؤال، وقال لها: العفو يا بنيتي.. ماذا قلتِ؟؟؟

أعادت عليه السؤال مرةً أخرى: سألتك عن ماهية الحب؟؟

قال لها بعد أن أطرق قليلاً: إنكِ تثقين بي.. أليس كذلك يا بنيتي؟؟

قالت دون تردد: طبعاً طبعاً يا سيدي الشيخ...

قال لها: أريد أن أطلب منك طلباً، وأرجو ألا ترفضيه ..

قالت مبتسمةً بمحبة وهي تهدهد طفلها: لو باستطاعتي أعطيك ماء عيوني يا سيدي الشيخ...

قال لها: أريد أن آخذ طفلك هذا ليبيت الليلة مع زوجتي!!!

قالت المرأة - وقد أتسعت حدقتا جفنيها من غرابة الطلب -: ولكنه لا يبقى بدوني، وكذلك أخاف أن يزعجكم ببكائه..

قال: لا عليكِ.. أنا أعرف كيف أرضيه إن وافقتِ، ولكن بشرط .. أن تعاهديني ألاّ تأتي لأخذه مهما كانت الأسباب إلاّ عند الفجر...

حارت المرأة في أمر الشيخ، وألجمها الموقف الصعب الذي وضعها فيه الشيخ، وأحسّت أنها تورطت؛ فإرادتها لا تطاوعها على إعطاء طفلها للشيخ، فكانت تتأرجح بين الرغبة والرهبة والأقدام والإحجام...

كانت تعتقد في قرارة نفسها؛ أن هذه الفئة من الناس أمثال الشيخ لهم كرامات ويد طَوْل؛ فلو رفضت تلبية طلبه ربما يلحق بها أو بطفلها مكروه..

فعلى مضض وافقت المرأة على تسليم طفلها للشيخ !!

أخذ الشيخ الطفل من بين يدي أمه؛ فشعرت الأم كأنما أستل أحشاءها معه...

خطا الشيخ مبتعداً يحمل الطفل وقلب المرأة الدامي...

بدأ الشيخ ينأى..

نظر الطفل لأمه وبدأ يشعر بالخطر؛ فشرع بالبكاء والصراخ...

ملأ فضاء المكان بصراخه وهو يشير بيديه المتوسلتين نحو أمه...

ظل الطفل يبكي طوال الليل ويردد بحرقة إسم أمه...

رفض كل من حوله، وكذلك رفض الأكل والشرب...

صراخه المؤلم حرّك الشفقة والعطف في قلوب الجيران ..

فأتوا يسألون: ما بال هذا الطفل يبكي هكذا؟؟؟!

وأمه هناك.. قضت ليلها ساهمةً ساهرةً...

لم يغمض لها طرف أو تذق للنوم طعماً...

وفكرت ألف مرة ومرة أن تذهب إلى الشيخ وتأخذ إبنها..

ولكنها تذكرت أنها قطعت عهداً للشيخ بألاّ تأتي لأخذه إلاّ عند الفجر...

فما إن أذّن الفجر بالانبلاج؛ حتى هرولت المرأة إلى بيت الشيخ لأخذ إبنها...

وما إن رأته حتى هرعت نحوه بلهفة وشوق جارف...

وما إن وقعت عيناه في عينيها حتى شرع بالبكاء وعيناه تتدفقان بالدموع ..

غاب الطفل بين أحضان أمه كما تغيب الفرحة في شغاف القلب الحزين...

أختلطت دموع المـرأة بـدموع إبنهـا وهـما منسـجمان كجسـد واحـد وروح واحدة ونفس واحدة...

كان الشيخ ينظر إليهما بابتسامة الخبير، ثم توجه بنظره إلى المرأة التي تحتضن طفلها وعيناها تنهمران بالدموع، وقال لها وهو يـداعب لحيته بأنامله المعروقة: هذا هو الحب يا بنيتي.. هذا هو الحب !!!!

opeikan.com

شزوفرينيا

كانت الريح الشاتية تعوي بضراوة خلف الباب كذئب مطعون...
جلس صافي قرب المدفئة، تتخلله أشعتها المتوهجة...
يلم المنامة حول جسده المتلذذ بالدفء...
ممسكاً باليراع متكوراً على اللحاف الوثير بجانب الأباجورة المضيئة
الذي ينعكس نورها على وجهه المنعّم برغد الحياة؛ فيزداد وسامةً...
يجهد خياله المتكدس بصور أحداث يوم مؤلم...
أطفال دارفور الجوعى يلوذون باللاشيء...
يكابدون البرد والمسغبة....
شردتهم الحرب الطاحنة وجور النظام الحاكم....
البرد ينخر عظامهم الرخوة و يتغلغل في أوصالهم؛ فيمزقها ألماً...
يتجرعون كئوس المرار والحرمان، ويقاسون فقدان الأهل والعشيرة...
قلوبهم تتقطع ألماً وظلماً، وحلوقهم تغتص بغبن البؤس...
أخيراً.. أهتدى إلى كلمات مناسبة يستطيع أن يكمل بها عموده
اليومي بالصحيفة..
أسرع إلى حاسوبه الشخصي.. فتح إيميل المحرر.. بعث إليه بما كتب...
رفع الغطاء عن المائدة.. بانت وجبة عشائه الفاخرة.. تناولها بنهم...
سكب كوباً من الحليب كامل الدسم.. أرتشفه بتلذذ، ثم عاد إلى فراشه...

مد يده وأطفأ نور الأباجورة.. فرد عليه المفرش الحريري الطري.. عم المكان الظلام والسكون...

غطّ في نوم عميق هانئ، تتخلله الأحلام المفرحة والأماني السعيدة المتفائلة بصحو مفعم بالنشاط...

جلس صباحاً عند حديقته الغنّاء التي تتوسطها نافورة دفاقة تطل على فيلته الفخمة...

شرع بإحتساء قهوته العذبة ووجهه يبتهج بنشوة تفاعله الحسي مع عمود البارحة على عدد اليوم للصحيفة التي يكتب بها...

وحالما أنتهى من القراءة وأنهى فنجانه.. رنّ صوت هاتفه الذكي ذي الطراز الأحدث ينبهه إلى وصول رسالة...

فتح الرسالة.. بدأ يطالعها بفرح عارم؛ الرسالة تبشره بإرتفاع سعر أسهمه في البورصة....

نهض مضطرباً من شدة الفرح.. تعثرت قدمه بصور الأطفال الجوعى المتذيلة عموده، والتي دفع بها كصورة حية تدعم مكتوبه الذي كان منهمكاً طول الليل على حبكه عن معاناتهم...

ثم خرج مزهواً يفاخر زملاء الإستثمار ومنافسي الثراء ببشراه السعيدة!

احتضار وطن

جلس مصطفى على ناصية بيتة الريفي وهو يراقب -بوجه مكفهر مغتم وملامح شاحبة- أشعة الشمس الهاربة إلى المغيب وهي تلملم بقايا خيوطها الذهبية المنكسرة؛ محاولةً التخفي خلف خط الأفق، معلنةً الرحيل...

أطفاله الثلاثة تغمرهم فرحة جارفة تتبدى على وجوههم البريئة المسعدة بالإبتسام، ينتظرون بلهفة حلول الصباح ليشدوا الرحال إلى موطنهم السودان..

قضى مصطفى خمسة عشر عاماً مغترباً بإنجلترا، يعمل طبيباً بإحدى ضواحيها.. قرر أخيراً الرجوع إلى وطنه والإستقرار به.

لكن لم يكن متحمساً لقراره هذا، تتناوشه صراعات عقلية كثيرة وهواجس جمة بهذا الصدد، كان قلقاً حيال ما يشهده الوطن من تصدعات، بانت له كصورة تلك الشمس المنحدرة إلى المغيب.

وطن خَبَتْ فيه كل الإشراقات التي تثلج الصدر وتمنح النفس جواز الإرتياح وتشجع على الإقامة والاستقرار، والتي كانت الوقود الفعلي الذي تدار به عجلة الحياة هناك.

مُسختْ العادات والتقاليد السمحة والأخلاق النبيلة التي أتسم بها المواطن السوداني، بهتت كل الألوان الإجتماعية الناصعة، وحلّ مكانها النفاق بلونه الأسود الأغتم؛ ليصبغ ملامح الناس.

فتاة تُجْلَد على الملأ.. لا لجرم سوى أنها كانت تلبس بنطالاً!!
قاض بسنار يغرّم بائعات شاي خمسمائة جنيهاً؛ لأنهن لم يرتدين ملابس داخلية!! إعتقال صحفية بسبب تحقيق عن تلوث مياه النيل!!
شرطي مرور يصفع سائقاً لأنه رفض دفع مخالفة مرورية دون إيصال مالي!! فتيات يتحاشين الجلوس قرب الرجال في المركبات العامة خشية التحرش بهن!! أكثر من نصف الشعب تحت خط الفقر، وفوق الثلاثة مليون طفل خارج نطاق التعليم!! الأراضي تنتهك حرمتها من كل الجهات وما من حماية لقدسية الأرض ولا سيادة الوطن.. وزراء وولاة تخموا بالفساد المالي، وإدارة مكافحة الثراء الحرام تطالبهم بالتحلل وما من مجيب.. العمارات الشاهقة أستطالت باللحى وعرق البسطاء.. مستنقع الرذيلة يرفد المايقوما* بألف لقيط سنوياً.. ولاية النيل الأزرق تنزف.. جنوب كردفان تئن.. دارفور تتزعزع.. والشرق يهتز.. الغربة تفرغ الوطن من كفاءاته العلمية النادرة وتجفف محتواه، وخمسمائة تأشيرة خروج يومياً لدول الخليج وحدها.. المعتقلات والسجون تتكدس بالشرفاء والمظاليم.. الشعب يشكو الضائقة المعيشية والأوضاع الاقتصادية المتأزمة الطاحنة.
نظر مصطفى إلى أطفاله المتحلقين حوله بهناء.. فرد ذراعية وأحتضنهم بحنو، ثم رنا بعينيه المتوجستين إلى الغمامات الملأى التي تستدبرها الريح في الأفق الرحب، وقال محدثاً نفسه: الغربة سجن كبير، والوطن زنزانة ضيقة، ولكن براح السجن أهون من حوائط الزنزانة الخانقة، ليس بعاقل من يسوق نفسه إلى جحيم وطن تهاوت

أخلاق مجتمعاته، وتداعت أوضاعه الإقتصادية، وتجذرت فيه كل معوقات التنمية، وأستشرى فيه الظلم والفساد والفقر والمرض، وتزعزع فيه الأمن وعمت الفوضى.. وطن أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه يحتضر..

نهض مصطفى من مكانه، ثم دلف إلى موقع شركة الطيران على الإنترنت، وألغى حجز السفر...

---

*المايقوما : دار للأطفال مجهولي الأبوين بالسودان

obeikan.com

الصورة

-1-

أمينه محجوب فتاة قست عليها ملامح الزمن والناس..
عاشت عزيزةً بالطيبة والكبـرياء ونكـران الذات ..
ضحت بـرضائها لتكسب رضاء الآخـرين...
درست الاقتصاد والعلوم السياسية...
قلبها أرض معطاء تنجب الحب والإنسانية والخيـر...
عيناها كانتا رمزًا للمودة والأمن والسلام...
كانت مستنيـرةً بالإيمان والفكـر والعلم...
واسعة الثقافة والاطلاع والأخلاق...
صادقةً في القول والفعل والمعتقد...
قويةً في الـرأي والعدل والقـرار...
شعارها القناعة والصبـر والثبات....
أحبت يومًا ابن الحي الذي تسكنه...
ابتسامته الصافية أوحت لها بمكنون دواخله الطيبة...
كان يعاملها بحنو وشهامة ونبل...
والده من كبار رجال الأعمال الذين يشار إليهم بالبنان في المنطقة...

لكنه بجانب ذلك كان عنصـريًا حد التطـرف...
أخبـر ه ابنه يومًا بأنه يحب أمينة ويـريد الزواج بها...
فلما علم أنها من الطبقة البسيطة في المجتمع انتهـره غاضبًا، وطلب منه قطع علاقته فورًا بها، لكن الابن لم يشأ أن يقطع علاقته بفتاته؛ لأنه يحبها...
عاشا الحب ثلاث سنوات خصبة بالعاطفة والحنو والشعور...
بنيا ملامح واضحةً لمستقبلهما على ضوء هذا العشق النبيل...
لم يخبـرها بـرأي أبيه؛ خيفة أن يفقدها؛ فهو يعلم لأي مدى هي ناضجة وحكيمة...
عاشت معه الإحساس على أن أهله راضون عن هذه العلاقة...
وهبته بسخاء قلبها ومشاعـرها وحنانها...
وصارت لا تـرى في الوجود مثله ولا تـريد أن تـرى؛ فقد ملك حياتها وحواسها...
في يوم من الأيام كان الأب يبحث عن ابنه الذي ائتمنه على شيء يخصه، وطلب منه حفظه وإعطائه له وقتما يطلبه، نادى عليه، ولكن الابن لم يكن بالبيت، حاول الاتصال به؛ كان هاتفه مغلقًا.. ذهب إلى غـرفته بحثًا عنه، فلما دخل الغـر فة وجد صورةً لفتاة مبتسمة موضوعةً على إطار زجاجي أنيق ومعلقةً على الحائط...
وبغضب سأل زوجته عنها، أجابته بأنها صورة الفتاة التي يحب..
ثار في وجهها غضبًا: ألم أحذره منها؟ ألم أقل له إنها لا تناسبه؟
لماذا لا يسمع كلامي ويصـرف النظـر عنها؟ أيعصيني؟ ألا يطيع أمـري؟
سأريه!!!

ولما سأل عنه الحـراس؛ أخبـروه بأنه بـرفقة تلك الفتاة بإحدى الحدائق العامة....

حمل الصورة ذات الإطار الزجاجي، وهـرع إلى الحديقة المعنية...

حاولت الأم الاتصال بولدها وإخباره بأمـر أبيه، لكن هاتفه كان مغلقًا...

كانت أمينة غارقةً في نهـر الهوى تنهل من معينه العذب...

وقف الـرجل فوقهما كشبح مخيف..

محمـر الوجه يتدفق الدم في أوداجه غضبًا..

قال موجهًا حديثه لابنه بكلمات جارحة مجـردة من التنميق واللطف والكياسة: هذه البنت التي خـرجت عن طاعتي لأجلها؟ لم تجد من دون البنات غيـر هذه الوضيعة زوجةً لك؟!

انهال عليها بسبابه المشين وشتائمه المقذعة، وأضاف بازدراء: ووصلت بك الجـرأة إلى أن تضع صورتها النتنة على حائط بيتنا؟! وبكل قوته هوى بذاك الإطار الزجاجي على الأرض وداس عليه بـرجليه؛ فتهشم الإطار قطعًا قطعًا ثم ذهب مغادرًا...

لم يجد الابن كلماتٍ مناسبةً يواجه بها موجة الغضب الضاري التي هاجت على وجه والده؛ فاستسلم للصمت والحياء...

شعـرت أمينة بقلبها يتهشم داخلها كما تهشم ذاك الإطار، لم تحتمل الصبـر وهي تـرى كـرامتها تداس تحت الأرجل، نظـرت أمينة إلى حبيبها الذي لبث مطأطئًا الـرأس لا يحـرك ساكنًا؛ فثارت فيه مستفـر غةً في وجهه كل غبنها المكبوت: هذا الذي قدّرك الله عليه؟ لماذا لم تدافع عني وعن حبنا؟ لماذا سكت هكذا كالأبله؟ أأكلت القطة

لسانك أم صـرت أخـر س فجأةً؟ لماذا لم تقل له إن هذه البنت أشـرف من عـر فت؟ لماذا لم تقل له إنها ليست نتنةً وإنها أشـرف من بيتنا؟ لقد سكت أنا احتـرامًا لك.. في حين يمكنني الـرد، ولكن لا أنت ولا أبوك.. ليس منكما من يستحق الاحتـرام.

ثلاث سنوات وأنا أعيش على خداعك وكذبك وجبنك، لماذا لم تقل لي إن أبي غيـر راضٍ عن هذه العلاقة؟ لماذا كذبت عليّ وأوهمتني أن الأسـرة موافقة على علاقتنا؟

اليوم فقط أدركت لماذا كلما فاتحتك في موضوع الخطوبة كنت تسوف وتتعلل بحجج واهية، كنت توهمني بأن كل شيء على ما يـرام، وأنك تـريد الوقت المناسب فقط لتعلن الخطوبة، وأنا المسكينة كنت أصدقك وأقول لنفسي أصبـري يا بنت؛ لعل الله يـريد خيـرا، وكنت أقدّر ظـروفك ووضعك، ولكن اتضح لي أنك لا تستحق التقديـر؛ فأنت أكبـر كذبة في حياتي، بقدر ما كنت أحبك وأحتـرمك.. اليوم أكـرهك وأحتقـرك من آخـر قلبي؛ فلقد خيبت ظني، فأنت لست الـرجل الذي ظننت، ولا تستحق أن تنتمي لفئة الـرجال أساسًا؛ لأنك لا تملك أدنى مقومات الـرجولة...

فتح فمه ليتكلم، ولكنها تـر كت لـه المكـان وذهبـت مغـادرةً.. تغسـل آلامها بدموعها الساخنة المحـرقة..

-2-

عزمت أمينة على ألا تحب رجلًا بعده؛ فقد ضاعت ثقتها بالـرجال منذ أن تـركته.

كانت أمينة تحب الأطفال جدًا؛ فقـررت أن تنخـرط في العمل بإحدى الجمعيات الإنسانية، وتهب مشاعـرها وحنوها للأطفال واليتامى والمهمشين في مجتمعها....

فكانت تعمل بجهد وكد، تجمع التبـرعات من المؤسسات الاستثمارية والخدمية والخيـرين على امتداد القطـر..

تدرجت في العمل حتى أصبحت مديـرة الجمعية الخيـرية تلك، وازدهـر ت الجمعية المنطوية تحت إدراتها أيما ازدهار، وحققت نجاحًا باهـرا؛ فكانت تكفل ألفي طفل يتيم، ومائتي أسـرة متعففة، وساعدت الكثيـر من الأطفال المعاقين حـركيًا وذهنيًا ووفـرت لهم ما يناسب أوضاعهم من احتياجات، كالدراجات والأدوات الطبية والأجهزة السمعية والبصـرية... إلخ، وتوسعت علاقاتها بأصحاب المال والأعمال، وصار يأتيها الدعم من كل النواحي حتى من خارج البلاد؛ فلقد نالت ثقة الجميع بمصداقيتها وأمانتها وإخلاصها في العمل...

فأنشأت دارًا للأطفال مجهولي الأبوين، وهيأتها بجميع ما يلزم، وأهلتها تأهيلًا نموذجيًا، وبجانبها أنشأت مشـروعًا زراعيًا ضخمًا كان المـرتكز الـرئيسي الذي تقوم عليه الدار؛ فكان ينتج أنواعًا مختلفةً من الحبوب التي أصبحت مخزونًا إستـراتيجيًا يسد حاجة الأطفال مدى العام...

اختيـرت أمينة محجوب ذاك العام شخصية العام الإنسانية، وكـرمَت في أضخم احتفالية نظمتها الدولة متمثلةً في وزارة الـرعاية

الاجتماعية؛ فكانت إضافةً حقيقةً لأمينة في مسيرتها الإنسانية الخَيرة الحافلة بالعطاء...

ذات مرة.. لاحظت أمينة أن سياسة الدولة تنحاز للطبقات الأرستقراطية والبرجوازية في المجتمع دون غيرهم؛ فكتبت مقالًا مطولًا في إحدى صحف المعارضة تدين فيه بشدة هذه الأفعال المجحفة؛ فاعتبرت الحكومة هذا المقال ضد سياستها، وبموجبه تم اعتقالها...

هاجت الدنيا ولم تهدأ، وثار الأحرار شاجبين هذا العدوان الغاشم، وسَيروا المسيرات والاعتصامات أمام مبنى جهاز الأمن والمخابرات الوطني؛ احتجاجًا على اعتقالها، رافعين لافتاتٍ تحمل اسمها، ومنددين بعبارات تدين التعدي على حرية الرأي والتعبير التي يكفلها القانون وينص عليها الدستور...

لم تستطع الحكومة إبقاءها في المعتقل أكثر من ثلاثة أيام؛ فأطلقت سراحها خوفًا من تقدم الجحافل الثائرة الزاحفة.

خرجت أمينة محجوب من المعتقل كأبهى وأعظم ما يكون، واستقبلتها الجماهير الحرة استقبالًا عظيمًا يليق بمكانتها ومقامها ومقاصدها الشريفة النزيهة...

ولما رأت أمينة أن الساحة السياسية تفتقر لمن يدافع عن حقوق هؤلاء البسطاء ويرد الظلم للمغلوبين ويلجم أفواه الطغاة؛ قررت الانخراط في العمل السياسي، وتبنت فكرة تأسيس حزب سياسي حر يؤمن بقضية العدل والمساواة للجميع، ويكفل الحريات لكل أفراد

الشعب السوداني على اختلاف طبقاته وأعـراقه وتوجهاته الفكـرية والإثنية، واتخذت شعار (السودنة) مبدأ يقوم عليه نضالها وكفاحها.... وجدت الفكـر ة صدًى واسعًا من كل أطياف المجتمع لا سيما أن حلبة الصـراع السياسي الـراهن آنذاك تفتقـر لثقة الشعب بحكم سياساتها الجائرة الطائشة، وكان الناس متعطشين لمن يصغي لهم باهتمام ويعمل لأجلهم بأمانة...

فأنشأت حزبًا سياسيًا في العاصمة وأسمته باسم (السودانيون الأحـرار)...

استطاعت أمينة في ثلاث سنوات أن تبني قاعدةً جماهيـريةً ضخمةً، وتوسعت رقعة الحزب، وصار له دور وعضوية في كل الولايات...

ولما جاءت الانتخابات الـرئاسية في البلد؛ أشار إليها بعض قادة الحزب المخلصين بخوض الانتخابات وتـرشيح نفسها للـرئاسة.. توجست أمينة قليلًا من الفكـرة، لكن الجماهيـر الغفيـرة الملتفة حولها والسمعة الطيبة والثقة المطلقة التي نالتها من مؤيدي أفكارها العظيمة وسياساتها العادلة؛ حَمّسَتْها لخوض غمار التجـربة؛ فتكالبت الجموع، وتدفق المؤيدون، وتعاضدت النفوس، وشُحِذَت الهمم، وشـرعت أمينة في وضع بـرنامجها الانتخابي المثالي الذي حوى بين تضاعيفه جميع القيم والقوانين العادلة التي بمقدورها أن تـرسم خارطة وطن جديد؛ وطن يقوم على الأمن والسلام والـرخاء والنماء بين أفـراد شعبه...

أسـرع المؤيدون بوضع ملصقات الشعارات الانتخابية الصادقة المعبـرة على كل نواحي البلاد، وبدأت هي بإقامة الندوات التي نالت استحسان الجميع وتلقتها الجماهيـر الغفيـرة بالـرضا والتأييد..

وصفقت لها الأيادي انبهارًا بتجلياتها العظيمة التي جاءت بما يحلم به الإنسان السوداني.

وعدت الناس بالتغييـر والمساواة وتـرسيخ قيم الخيـر والعطاء، ونقل الناس من مـرحلة الحلم إلى مـرحلة التحقيق.

فصدقها الناس؛ لأنهم عهدوا فيها المصداقية التي لمسوها فيها إبان عملها بالجمعية الخيـرية، وتعاطفت معها الأسـر الفقيـرة والطبقات الكادحة، وفَتَحَت لها الشوارع والنوادي والمسارح قلوبها قبل أبوابها، وكانت كل المؤشـرات تقول لها: مـر حبًا بك قائدةً للسلام وأميـرةً على البلاد...

وجاءت لحظة الاقتـراع، وتدافعت الحشود إلى الصناديق لإعطائها أصواتهم راضين مطمئنين واثقين بأنها ستخلق واقعًا جديدًا وتساهم في إحداث ثورة فكـرية سياسية مـرضية ونقلة نوعية في اقتصاد البلاد.

وكانت المفاجأة عند فـرز الأصوات عند نهاية الاقتـراع.. فقد اكتسحت أمينة المـرشحين بفوز باهـر، ونالت عشـرين مليون صوت من جملة الثلاثين مليون صوت الناخبة...

وبذلك الفوز تكون أمينة محجوب أول امـرأة سودانية تجلس على كـرسي الـرئاسة وتتقلد منصب رئيس الجمهورية ديمقـراطيًا ودستوريًا بإرادة حـرة نزيهة...

ودوت طبول النصـر، ولم تنم الخـرطوم ليلتها تلك، وزُفَّت أمينة المـر أة الإنسانة السياسية المحنكة رئيسةً على البلاد، ورفـرف علم

السودان عاليًا وألوانه الزاهية التي يداعبها الريح ترحب بها زعيمةً وقائدةً وأميرةً على البلاد والعباد...

وفي غمرة تلك النشوى والفرحة العظيمة.. تذكرت أمينة ماضيها وعادت بها الذكريات إلى حبيبها القديم الذي تزوج بعد شهر واحد فقط من فراقها من فتاة تناسبه كانت من اختيار والده الذي أعلن إفلاسه مؤخرا عندما خسر كل ما يملك في البورصة؛ فهوت ثروته وتداعت منزلته الاجتماعية التي بناها من عرق الكادحين وكد المساكين والضعفاء؛ فأصبح اليوم على حافة التسول، وانقشع الزيف، وبانت الحقيقة، ورُدَّت الحقوق إلى أهلها.

وتذكرت كيف أن ذاك الوحش داس على صورتها بقدمية الثقيلتين وأذلها ونعتها بالنتنة أمام مرأى ومسمع من الناس؛ فجاء قرارها بأن تلك الصورة التي أهينت يجب أن تُحْترم ويرد إليها اعتبارها.

فقررت أمينة طبع صورتها على العملة السودانية المتداولة؛ فكانت أمينة محجوب أول رئيسة بلاد تضع صورتها على أوراق النقد.

فبعد أن داس ذاك الرجل صورتها ومرغَها في التراب بقدميه؛ صار اليوم يلهث وراءها كي يقبّلها ويحتفظ بها في خزانته كصورة مقدسة تجلب البخت وتصنع السعادة...

وتكون أمينة بهذا قد استردت كرامتها وردت لصورتها الحبيبة اعتبارها كأعظم ما يكون....

السياسة لعبة قذرة

كان سيد القاضي سياسياً محنكاً وخطيباً مفوهاً...
تراه ثائراً تحسب أنه موج هائج..
يَسّقُط أكلة مال الشعب الكادح...
قتلة الأطفال والنساء والضعفاء...
المتعرين من ثوب الحياء والفضيلة والشرف...
يتحدث عن لم الشمل ونبذ الفرقة والشتات ..
الدعوة للتخلي عن العنصرية بشتى صورها؛ القبلية والطائفية والجِهَوِيّة والعرقية، مبرهناً على أن المجتمع المتماسك يقوم على أساس قبول الآخر واحترام رأيه وثقافته..
كان نبذ العنصرية محور حديثه وأهم مبادئه التي يدعو لها...
تجده دائماً محاطاً بالعديد من المعجبين بشخصيته والمؤمنين بفكرته والمؤيدين مبادئه...
ومن أجندته الفكرية توفيق وجهات النظر بين الأجيال، وتقليل حدة ما يسمى بصراع الحضارات والطبقات..
يتبنى آراء وأفكار الشباب النيّر، ويحثهم على ممارسة سياسة راشدة من أجل النهوض بقضايا الوطن إلى مصاف حلول مثلى بكل سلمية، بعيداً عن سياسة العنف والدماء..

فمن بين هؤلاء الشباب هنالك شاب أسود اللون مهيب الطلعة عالي الهمة إسمه سامي، كان سامي من الناشطين السياسيين الغيورين..
كانت علاقته وطيدةً بسيد القاضي، وكان من المعجبين جدًا بوطنيته المثالية وأفكاره القيّمة الناضجة وشخصيته السياسية القوية الفذة، وما جاءت به تجربته من أطروحات موضوعية ورؤى بناءة تدعو لتوحيد الصف الوطني ونبذ التفرقة والعنصرية.
شاركه سامي أفكاره، وصار كادراً بارزاً في منصة الحزب الذي يتولى سيد القاضي أمانته ..
سرى تيار إعجاب بينه وبين بنت القاضي تلك الحسناء الفارعة والوطنية الحقة،
تقاربت وجهات النظر بينهما، ولما تأكد سامي من إعجابها به لم يتوان في مصارحة والدها بالموضوع.. رفض والدها وبشدة.. سأله عن السبب، أجاب: إنها مسألة عائلية.
ولكن بعدها أكتشف أن سبب رفضه يعود لكون سامي أسود اللون، وأنه من خارج نطاق قبيلته ذات العرق الطيب حسب زعمه .
واجهه بالحقيقه ثائراً: أليست هذه مبادؤك التي ظللت تنادي بها؟ أليست هذه قيمك التي كنت تدعو لها؟ أليست هذه أفكارك التي كنت تتبناها؟ علمتنا إياها وغرست حبها فينا، نبذ العنصرية وقبول الآخر، والناس سواسية كأسنان المشط، وليس هناك فرق بين الأسود والأبيض ولا بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، أم أن تلك كانت مجرد

شعارات جوفاء كنت تجمل بها صورتك أمام الجماهير وتأجج بها عاطفتهم وتثير حماسهم؟؟؟

أجابه متهكماً بضحكة لا مبالية: يا إبني صحيح أنا أمارس السياسة، ولكن بعيداً عن شئون أسرتي الصغيرة، صاح فيه باغتياظ: القيم لا تنسخ، والمبادئ لا تتجزأ.

ثم تركه وأنصرف يتملكه الغضب حيال موقف هذا الراديكالي المتعصب.

وفي الصباح.. أعلن إنسلاخه من الحزب، وهتف ضده..

فليسقط المتخاذلون الجبناء...

فليسقط أصحاب الشعارات البراقة الجوفاء..

فليسقط المنافقون الذين يقولون ما لا يفعلون..

فليسقط أعداء الحب والسلام...

فليسقط سيد القاضي العنصري البغيض...

ثم غرق في نوبة بكاء حادة وهو يقول: بئس العمل السياسة.. إنها فعلاً

لعبه قذرة.

obeikan.com

اشتباه

وأخيراً حصلت على وظيفة....

يا ألله! ما هذا البلد الذي لا يقدّر الكفاءة المهنية ولا تشفع فيه شهادات الخبرة وسنواتها الطوال؟!

رجل مثلي كفء بهذا القدر ينبغي عليه أن يعاني كل هذه المعاناة حتى يحصل على وظيفة؟!

وأي وظيفة تلك؟! وظيفة وضيعة ذات عائد زهيد لا تساوي مقدار العرق الذي بذلته في بلاد الغربة سنين عددا؛ لأجل أن أكوّن هذه الخبرة الجبارة التي تؤهلني لأن أصبح مدير المؤسسة التي عينتني موظفاً بسيطاً في أحد أقسامها المحاسبية!

يا لهذا الإجحاف !فلولا المسئولية الملقاة على عاتقي وضيق ذات اليد وحالة الكفاف التي نعيشها لما قبلت بمثل هذه الوظيفة البخسة....

تحسست جيبي.. لم يكن به ما يسد حاجتنا لآخر الشهر ..

زوجتي التي على وشك الولادة.. أولادي الأربعة.. أصغرهم يدرس بالصف الثالث الأساسي.. مدارسهم الشهر القادم ستبدأ عامها الدراسي الجديد...

إيجار البيت.. صاحب المتجر.. فاتورة الماء والكهرباء...

مصروفات الحياة اليومية.. الحالات الطارئة.. المرض.. السفر المفاجئ.. ضرورات الحياة...

المجاملات الإجتماعية.. زواج، وفاة، ولادة، عيادة مريض...إلخ

سترك يا رب....

اليوم هو يومي الأول في العمل...

ولدي أحضر لي بذلتي الوحيدة، صحيح أنها متقادمة وأن لونها صار باهتاً، لكنها ما تزال بحالة جيدة...

زوجتي غسلتها وكوتها جيداً...

أرتديتها ورششت شيئاً من العطر عليها كمحاولة يائسة مني لتعويض حالة التقادم التي تعتريها...

وأنا خارج.. زوجتي المثقلة المتكوّرة بطنها أمامها.. تتبعني مجرجرةً أقدامها ببطء شديد، جسدها ينوء بحمل الجنين...

ترفع عقيرتها لتباركني بأدعيتها الطيبة التي ترفع روح التفاؤل وتنعش الأمل داخلي، داعيةً لي بالتوفيق والحفظ...

مسكينة.. صبرت معي كثيراً، يا ليتها تدري كم أحبها ولا أرى امرأةً في الدنيا مثلها...

فليباركها لي الرحمن، وليحفظ لي أولادي ويقدرني على إسعادهم؛ هم قرة عيني وكل أملي في هذه الحياة..

ليلة أمس كانت ليلةً سيئةً ومشؤومةً للغاية، قوات خليل إبراهيم غزت أم درمان وروّعت الأهالي...

العاصمة في حالة طوارئ هذه الأيام؛ بسبب الرعب الذي أثارته القوات الخليلية..

توقفت بنا العربة عند مدخل كوبري الفتيحاب؛ كانت هنالك لجنة تفتيش...

طلب الضابط من جميع ركّاب المركبة الترجل وترك مقاعدهم...

obeikan.com

تحرى عنهم جميعاً على عجالة، وحين تأكد من سلامة أوضاعهم سمح لهم بالرجوع إلى أماكنهم ما عدا أنا، طلب مني الوقوف جانباً، لا أدري لماذا، ربما للسواد الغامق الذي يكسو بشرتي !!!

ثم أمر صاحب المركبة بالمغادرة...

قلت له بأدب: يا سيدي.. ما الأمر؟ هذا أول يوم لي في العمل؛ فأريد أن أذهب في موعدي حتى لا يتهمني صاحب العمل بالتسيب.

أنتهرني بغلظة، وأمر أحد الشرطيين الواقفين بجواره أن يقتادني إلى العربة، ثم شرع بإجراء مكالمة هاتفية..

زجني الشرطي داخل عربة جيب كخروف أضحية دون أدنى إحساس بالإنسانية...

وقبل أن أستقر بالجلوس داخل العربة أنقضّ عليّ أحد أفراد الشرطة الموجودين بالداخل وقيّد يديّ من خلفي بالأصفاد!

ثم أقحم رأسي في قناع أسود كمم به وجهي؛ حتى لا أتمكن من الرؤية...

تحركت بنا العربة، وبينما أنا أقدم إحتجاجي على فظاظة المعاملة ركلني أحدهم بالبوت في بطني حتى تقيأت! وبصق على وجهي ونعتني بأقذع الشتائم، وقال لي بصلف: كف عن الضجيج أيها الخنزير وإلا أوسعتك ضرباً حتى تتبول في سروالك!

ألتزمت الصمت حتى أرى ما سيؤول إليه مصيري...

سارت بنا العربة زهاء الساعة ثم توقفت، حملوني إلى الداخل...

رفع عن وجهي القناع، لكن يديّ ما زالتا مصفدتين من الخلف...

تبدى المكان.. مكتب أنيق المنظر، به صور بعض الضباط وكبار مسئولي الدولة اللامعين، والذين تملأ صورهم وأحاديثهم الصحف اليومية، تعرفت على بعض منهم وجهلت الآخرين...

وكذلك هنالك بعض الشهادات التقديرية.. منها ما هو موضوع على الطاولة، والآخر معلق على حائط المكتب في أطر مختلفة الأشكال والأحجام..
لكن لفتت إنتباهي لافتة بلاستيكية شفافة مثبتة على الحائط، مكتوب عليها بخط عربي منمق واضح: ما عرفته هنا أتركه هنا.
نظر إليّ الضابط الذي يجلس خلف الطاولة نظرةً قاسيةً وهو ممسك بيده اليمنى عصاً صغيرةً مذهبةً يضرب بها يده اليسرى ضربات بطيئة متلاحقة غير مؤذية؛ كأنه يحاول تخفيف حدة توتر يزايله، ثم قال للشرطي الذي يرافقني: هذا هو؟ -يعنيني أنا-، أجابه الشرطي بطاعة: "نعم سيادتك". قال له مومئاً برأسه: خذوه وأعطوه حلاوة طحنية، قلت للضابط بامتنان: شكراً سيدي، ولكنني مصاب بالسكر؛ فالطحنية تضر بصحتي. قال لي الضابط بإبتسامة ساخرة: لا، هذه ستعجبك جداً؛ إنها من النوع الفاخر.. منزوعة السكر.. علاوة على ذلك إنها منكّهة بالفراولة، عُملت خصيصاً لمرضى السكري ..
ثم توجه بحديثه للشرطي الذي يقف بجانبي كتمثال: خذه يا عسكري.
أجابه الشرطي بنفس الطاعة السابقة: حاضر سيادتك...
حررني الشرطي من أصفادي ودفعني بعنف داخل زنزانة مظلمة ثم أغلقها عليّ من الخارج..
وجدت بداخلها رجلين مفتولي العضلات، قساة الوجوه، حادي النظرات متأهبي الطلعة كنسرين يهمان بالإنقضاض على فريسة...
لم يمهلني الرجلان حتى أستجمع أنفاسي، فأنهالا عليّ ضرباً بالعصي وركلاً بالأرجل ولكماً بالأيدي؛ حتى أغمي عليّ، لم يبق في جسدي مساحة شبر إلا وتأدّت بالألم...

أرجعوني إلى مكتب الضابط، سألني ذاك الضابط الذي جيء بي له لأول مرة، وهو من أمر بإعطائي هذه الجرعة الموجعة من الألم: إن شاء الله تكون قد أعجبتك الطحنية المنكّهة بالفراولة؟ لم أرد عليه، وكزني الشرطي الذي أحضرني بمرفقه على جنبي الأيسر، ثم قال لي بإهانة بالغة: رد على الضابط أيها الأحمق، أجبته بصوت هاوٍ خانق وأنا أتلوى من الألم: إنها شهية المذاق يا جنابو، شهية جدًا.

قال لي بعد أن أسترجع قائم الكرسي الوثير إلى الخلف بشيء من الأريحية والأرتياح: أتمنى أن تأتي بنتيجة، وإلاّ سنذيقك الطحنية المنكّهة بالشوكولاتة المرة القادمة! طأطأت رأسي بشيء من التبرم الغير معلن، وكزني في بطني بتلك العصا المذهبة التي كان يتشاغل بها، ثم قال لي: كم كان تحت إمرتك من مرتزقة؟ أجبته بصوت مغتص: أنا الرجل الخطأ سيادتك.. لست أنا من تبحثون عنه يا جنابو.. أنا رجل صالح أسكن أمبدة السبيل، لي زوجة وأربعة أطفال، وهذا أول لي يوم في العمل الوظيفي، كنت مغترباً ب..

وقبل أن أكمل حديثي صفعني بالكف على خدي الأيمن، وقبل أن أفقد توازني ردها عليّ على الخد الأيسر، وقال لي وعيناه تتقدان جمراً من الغضب: أنا لم أطلب منك أن تحكي لي قصة حياتك، أنا أريد فقط منك اعترافاً مفصلاً عن تداعيات العمل الإجرامي الذي قمتم به أيها الجبناء.. كم من المال قبضت نظير فعلتك الوضيعة تلك؟؟؟

قلت له بشيء من التوسل مقسماً؛ فقاطعني: لا تقسم أيها النجس، أريد فقط اعترافاً.. منذ متى وأنتم تعرفون الله أيها الكفرة؟ من الذي

كان يدعمكم؟ من أين حصلتم على الأسلحة والزخيرة وهذا الكم الهائل من السيارات والقاذفات؟؟ قلت بإنكسار وخضوع: أنا لم أفعل شيئاً من هذا القبيل إطلاقاً، ولا أعرف عم تتحدث، أنا رجل مسالم وفي حالي.. لماذا لا تريد أن تصدقني؟ وقف يتطاير الشرر من عينيه، وأمسك بخناقي بقبضته القوية، وضغط على عنقي بشدة حتى جحظت عيناي، وقال لي بحزم: سأريك كيف تقر، ثم نادى على الشرطي بصوت قوي مزمجر..

جرني الشرطي جراً؛ فرجلاي لم تعودا قادرتين على حملي من جراء الأذى الذي تعرضت له، ولم يعد لي أدنى احتمال لتعذيب آخر، ورغم ذلك لم تأخذهم بيّ شفقة أو رحمة؛ فمارسوا معي أسوأ أساليب التعذيب على الإطلاق، وجربوا معي أقسى صنوف العذاب النفسي والبدني؛ فقد دنسوا كرامتي، وهتكوا عرضي، وأذاقوني ويلات الآلام!

ثلاثون ضابطًا أطفأوا أعقاب سجائرهم على ظهري، والذي صار بسبب ذاك الفعل كالطاولة التي يجرب عليها إشعال صباعات اللحام لأول مرة. قضيت شهراً كاملاً من الإضطهاد والتعذيب والإذلال، عوملت خلالها أبشع معاملة، وأهنت غاية الإهانة، كل هذا بسبب جرم لم أرتكبه وفعلة ما فعلتها!

لم أدر ماذا صنعت زوجتي التي كانت على وشك الوضع، ولا أطفالي الجوعى الذين كانوا يترقبون والدهم في كل مساء يحدوهم الشوق لأمل غائب مفعم برائحة الخبز والحلوى لكي يسكتوا عصافير

معداتهم المسغبة، ماذا فعل بهم صاحب البيت الذي أنذرني آخر مرة بأنني إن لم أدفع له خلال خمسة عشر يوماً سيضطر لطردي من البيت . شهر كامل وأنا لم أر الشمس قط، أعيش في ظلمة المعتقل وظلمه، أرسف في السلاسل والأغلال كمجرم حرب وقاطع طريق...

بعد إنقضاء الشهر دخل عليّ ذات يوم ذاك الضابط المشئوم، رأيته يدخل عليّ الزنزانة وهو متأفف يضع يده على أنفه من أثر الرائحة الكريهة المنبعثة منها، ففي الأيام الأخيرة أجبروني على قضاء حاجتي في ملابسي.. كانت عيناي م غلقتين تماماً بالتورم من أثر التعذيب إلاّ من فسحة بسيطة تمكنني من الرؤية بصورة مشوشة.

أمر الضابط بإدخالي إلى أحد الحمّامات وتنظيفي وإعطائي ملابس جديدة عوضاً هذه البذلة التي تقطعت على جسمي من الضرب، كانت حالتي يرثى لها، مثيرةً للشفقة وباعثةً الرأفة....

بعد أن أعيد ترتيب مظهري.. أحضرت إلى المكتب الذي جئت إليه أول مرة منذ شهر حينما كنت مصفد الأيدي مكمم الرأس..

كان الضابط يتبدى على محياه الأسف حيال ما لحق بي، عيناي الشبه مغمضتين تنظران إليه باستفهام.. كأنما تقولان له: أي نوع من التعذيب يا ترى تريد أن تأمر لي به؟!

كانت أمامه رسالة بريدية، وكان منكباً على قراءتها بتمعن ودهشة ظاهرين، رفع رأسه إليّ كرجل أتاه خبر وفاة عزيز قوم كُلف بإيصاله لهم ولا يعرف كيف يفضي إليهم بالنبأ.. قال لي بأسف - يحاول جاهداً إخفاءه- ، وبكلمات مقتضبة وهو يتحاشى النظر إليّ: لا أدري ماذا أقول لك.. فأنا في الحقيقة في غاية الأسف؛ كان هناك إشتباه

بينك وبين أحد الإرهابين به نفس مواصفاتك، أحد الذين تواطئوا مع المارق خليل إبراهيم لأجل التخريب وإثارة الفزع والرعب في نفوس الأبرياء؛ فكان لزاماً علينا أن نتعامل بصرامة وحسم حيال هذه المواقف؛ حتى لا تشيع الفوضى ويتزعزع أمن البلاد، وكما تعلم نحن هنا المنوط بنا في المقام الأول المحافظة على أمن البلاد وسلامتها واستقرارها، والذود عن حماها ضد أي منتهك وغاشم.

نحن نعلم الضرر الجسيم الذي لحق بك، ولكن أعتقد أنه بالإمكان تقدير موقفي إذا كنت في مكاني. سكت برهة ثم أستطرد قائلاً: أنت في حل الآن.. يمكنك أن تذهب لحال سبيلك...

لم أشأ قول شيء؛ فهيئتي المدمرة لا تصف إحساسها إن إجتمعت كل لغات الدنيا، نظرت إلى اللافتة البلاستيكية خلف الضابط، وقرأتها بصوت جهير قصدت به إسماعه: ما عرفته هنا أتركه هنا، ثم نظرت إلى الضابط بعينين داميتين حمراوين بعد أن رفعت القميص عن ظهري وأدرته ناحيته مبدياً آثار التعذيب عليه، ثم قلت له: هذا ما عرفته هنا يا حضرة الضابط.. فهل يمكنني تركه هنا؟!

وأد الأمنيات

كان اسمها أميـرة، وكانت وحيدة والديها...
توفي والداها في حادث سيـر إثـر عودتهما من الحج...
عاشت في كنف خالها أخي أمها لأبيها...
كان رجلًا متدينًا لدرجة التطـرف...
وكان البيت ينم عن الجدية إلى حد الصـرامة...
لا مجال للعاطفة والمزاح...
أحبت -سـرا- شابًا اسمه أمين...
حيث لا مجال لممارسة طقوس الحب معه في العلن...
كانت مغـر مةً به لدرجة التشـرنق...
تعشقه بجنون وتحس بالأمان في معيته...
كانت تخالسه النظـرات وتقاسمه الابتسام...
وتذوب في نظـراتة الحميمة كقطعة سكـر في فنجان قهوة...
لكن كيف السبيل إلى البوح وهي تعـيش في بيـت لا يعتــرف بالحـب ولا يؤمن بالمشاعــر...
كان دائمًا يتمثل لها كـروح ملائكية صادقة مشبعة بالبـراءة والطهـر...
وكفــراشة حانيــة تـرفــرف بأجنحتهـا النورانيــة حـول الزهــرة تثيــر عبيـرها من غيـر أن تؤذي أكمامها...

obeikan.com

سـر حت بها الأمنيات وأخذتها الأحلام عميقًا في هواها...
وأثناء ما كانت غارقةً في نشوة تعاطيها مع أمنياتها السعيدة يفاجأهـا خالها بأن هنالك شاب تقدم لخطبتها وهو يـر اه مناسبًا لها!!!
ارتعدت فـر ائصها وجلًا من هول ما سمعت...
فهي لم تتخيل نفسها من دون أمين...
فأمين حياتها، روحها، نبضها، وشعورها الذي تتعايش به...
وذائقتها التي تميّز بها جماليات الأشياء من قبحها...
حواسها التي تستشعـر بها العالم من حولها...
الملاذ الآمن الذي تحتمي به كلما قست عليها الظـروف وعصـفت بهـا أعاصيـر الوحدة...
فما كان لها يد الـرفض أو القبول...
واستسلمت لأقدارها مذعنةً...
فالخال ديكتاتور متسلط يمارس سياسية البغي بذكورية بغيضة...
لا هم له سوى أن تُنَفَّذ أوامـره وفق أيدلوجياته التقليدية البائدة...
تزوجت به والدموع تغطي عينيها حزنًا وألمًا...
كانت أميـر ة تحس بفستانها الأبيض كفنًا يخنقها ويزج بها في قبـر الحياة...
تتـــر اءى المعـازف لهـا سـمفونيةً تـــرسل أنغامًـا تـــراجيديةً في مشـهد جنائـزي لمأتم...
مـر ت السنوات عجافًا وهـي لم تشعـــر مـع زوجهـا بطعـم الحيـاة ولا بلذة العيش...
كانت تعيش معه مجـرد جسد، أما روحها ومشاعـرها حيث يتواجد أمين...

كانت تتنهد ملء رئتيها شوقًا إليه، وتهتاج قوة دفع تيار لهفةً إليه...
لم تعـرف شفاها الابتسام إلا حين إنجابها لطفلها الأول...
الذي لم تتـر دد في تسميته أمينًا....
فكلما كبـر أمين اتسعت رقعة الفـرح داخلها...
وكلما ازداد أمين رقمًا في شهادة الميلاد كلما ازدادت مشاعـرها حبًا له...
كبـر أمين وصار شابًا في سن الزواج...
وكأنما التاريخ يـريد أن يعيد نفسه؛ فيقسو ويجدد الجـراح...
أحب أمين فتاةً تُدْعَى أميـرة...
كان يهيم بها حبًا وغـرامًا...
لا يتخيل وجوده من دونها ولا سعادته بغيـرها...
وعندما تقدم لخطبتها؛ رفض والدها تزويجه إياها...
اغتمّ أمين، وتدهورت صحته، وساءت حالته...
حينها تجندت الأم وثارت فيها مشاعـر الأمومة، وتفتحت فيها جـراح عشقها القديم...
جمعت أفكارها واستعادت إرادتها المسلوبة...
وكسـرت قيود خالها التي كانت تكبلها في الماضي...
وأرادت الانتصار لابنها...
تدفقت قوى الإقناع إلى عقلها، وكانت كأنهـا تنـاهض تسـلط العنصـر الذكوري وتدافع عن حقها المغتصب في قلعة أمسها الضائع...
وأخيـرا استطاعت أن تقنع والد أميـرة وتنتزع منه الموافقة...
يوم الزفاف.. جلس أمين وعـروسته الجميلة أميـرة في الكوشة...

تتدفق ملامحهما الوضّاءة بسعادة غامـرة لا تخطئها العيون...
وقفت الأم أميـر ة وحـدها في مكـان نـاء؛ تستشعــر بإحسـاس الأمـس أفـراح اليوم، وتجتـر أحزان الماضي الذي فشل في سد رمق الـروح...
كم تمنت أن يكون هذا اليوم يومها وهذا الفـرح فـرحها...
نظـرت إلى العـروس أميـرة وهـي تتـأبط ذراع ابنهـا في مشـهد يجسـد فـرحة الانتصار العظيم؛ فخالت نفسها مكانها..
وعندما استفاقها الواقع من حلم اليقظـة - ودون أن تشعــر - سـالت على خديها دمعتان حارقتان لخصـتا بمـداد الحـزن قصـة عشـق مضى- عليها خمسة وعشـرون عامًا...
كفكفت دموعها، ثم دلفت إلى سـرادق الفـرح تستقبل المهنئين وهـي تتمتم بحسـرة مـريـرة: الله يسامحك يا خال...

الوهم

الجهنمية الوارفة تشرئب فوق بوابة بيتنا الطيني المتواضع وتنحني بتطامن خارج سوره، الورود المتفتحة منها تجمّل أعلى مدخل البيت والمتحاتة تلوّث عتبته، عندما يحركها هسيس الريح يتبدى المنظر حاملًا سِمَتَي الجمال والقبح!

على أفرعها المتعاضدة كان هنالك عصفوران يشقشقان شقشقات فرحة متناغمة ذات رجع جميل.

عادةً ما كنت أنام كل ليلة بجانب تلك الشجرة، فما إن أفتح عينيّ صباحًا حتى يتناهى لمسامعي صوت ذلكما العصفورين مشنفًا أذنيّ؛ فألبث أتأملهما بشيء من التفكير الوجداني العميق.

يخيّل لي - وللوهلة الأولى- أنهما عاشقان، وما تغريدهما العذب هذا إلا حالة ائتلاف عاطفي لتعاطي الحب وتبادل الشعور.

صحوت ذات مرة لأفاجأ بوجود عصفورة واحدة على أغصان الجهنمية دون الأخرى، زقزقاتها لم تكن حاديةً كما بالسابق، إنما جاءت حزينةً تُقطّع القلب وتستدر دمع العين، باعثةً الرثاء والشجن.

لاحظت أمي ذلك؛ فقالت تستفهم: ما بال تلك العصفورة تنوح هكذا يا بنيتي؟!

لم أجد ما أجيبها به، فلما بحثت في الأمر وجدت رفيقها ميتًا ومعلقًا على أحد أفرع الشجرة؛ أغلب الظن أنه رمي بنبال أحد أطفال الحي

الأشقياء؛ فكانت العصفورة تحوم حوله ببكائية مؤلمة تثير العطف والرأفة وتستوجب العزاء والمواساة...

وبينما أنا ساهمةٌ مستغرقة أقاسم تلك العصفورة النواح وأبادلها الأسى، إذ تداعى إلى أذني حداء فيروز وهي تغني بصوتها الرخيم المغلف بحس حزين أليم:

أنا يا عصفورة الشجنِ مثلُ عينيكِ بلا وطنِ

بيْ كما بالطفلِ لتسرقَهُ أولَ الليلِ يدُ الوسنِ

واغترابٌ بيْ وبيْ فرحٌ كارْتحالِ البحر بالسفنِ

أنا لا أرضٌ ولا سكنٌ أنا عيناكِ هما سكني

وكأنها كانت تتلصص على مرآة حسي لترى حالة الاشتعال الشعوري التي تعتريني، فتحاول عبثًا ترميم جدار قلبي المشروخ بحرائق ناسف ذكرياتي المعبأة بالشجن.

وتعيدني إلى حيث كانت البداية.. الحديقة الجميلة أمام كلية الصيدلة.. الدفعة الرابعة والعشرون والتي انضممت إليها حديثًا.. أول يوم لي بالكلية.. كنت منبهرةً بالعالم الجامعي، أخيرا سأدرج ضمن قائمة الطالبات الجامعيات! كنت مسرورةً جدًا أكاد أطير فرحًا، لا سيما ذاك اليوم وأنا أرفل في ملابسي- التركوازية الأنيقة وأنتعل حذائي الأسود ذا الكعب العالي، وأتأبط حقيبةً جلديةً ودفتر

محاضر ات وأضع روجًا وظلًا خفيفين يتسقان مع لونية الملابس التي أرتديها؛ تناغمًا عصر يًا مع الموضة، وأزيّن شفتيَ الرقيقتين المصبوغتين بالتركوازي بابتسامة بريئة خجلى تعكس إحساس البساطة والحياء داخلي.

كنت - وبعض الطالبات الجدد- نعلّق بسخرية على كل من يمر بنا من الطلاب والطالبات، ونضحك بسذاجة البرليمات* ، حتى جاء عابرا هو، بوجهه المتأنق الحليق، قامته المعتدلة المتماسكة، ملامحه الطفولية السمراء، شعر ه المسوّد الناعم، ذقنه المدببة المشذبة، وهندامه المتناسق الجذّاب؛ فوجمنا جميعًا وسكت همسنا الساخر، وغشيت عيوننا الواجمة لحظة صمت رهيبة، دنا منا قر يبًا وسألنا بنبرات دافئة وعيون صافية ملتمعة ببريق توتر رهبة اليوم الأول، غشينا عطره الآسر وسرى في أنفاسنا كالخدر اللذيذ.

لم تستطع واحدة منا الرد على سؤاله الذي ظل يردده كالأبله: أين مكتب مسجل كلية صيدلة من فضلكن يا طالبات؟

فلما لم يحصل على إجابة تمتم بغرابة، ثم خطا عابرا ناحية مجموعة أخرى من الطلاب.

استفقنا من نشوة سكر اللحظة المشحونة بالوجوم، وتفرقنا وفي عينيَ كل واحدة منا نظرة حياء حرجة تتحاشى بها الأخريات.

لا أدري لماذا هو دون غير ه من شغل بالي وأخذ حيزًا من تفكيري، رغم حيائي لم أستطع مقاومة تيار رغبة النظر إليه والرحيل في ملامحه الآسرة.

تعالت خفقاتي وتدفقت نوافير العرق عبر مساماتي، وسرت فيها قشعريرة الحرج؛ حينما ضبطني ذاك اليوم متلبسةً أحدق في ملامحه بلذة وأجوس في آفاق تقاسيمها الوسيمة؛ رمقني بنظرة عفوية مفعمة بابتسامة جزلى، وتركني لصداها وحدي أحترق حتى الرماد.

ظل طيفه المجنون يطاردني في كل الأماكن التي أرتادها ويستحوذ على حاسة النظر عندي، أراه يتمثل أمام ناظري كروحٍ ملائكيةٍ في كل فضاءات شعوري وتجليات مرآي.

دون أن يدري عشقته، ودون أن أدري لبثت أتابعه باهتمام؛ لدرجة أحس أنني أتقمصه!

يتغلغل في مسامي، يسلب إرادتي، ويمنعني من ممارسة حياتي بشكل مطلق.

وجدتني أنسج من خيوط غَزْل اهتماماته، وأفصّل ذاك النسيج على مقاييس الميول الرغائبية لديه.

أبتاع ملابسي وفق معاييره الذوقية، أفكر بالطريقة التي اعتاد التفكير بها، أتحدث بنفس طريقته في الحديث، وبنفس الكلمات التي يكررها، والحركات التي يومىء بها أثناء الكلام.

كنت أراقبه بصمت، وأترصد سلوكياته وميوله النفسي.. ماذا يحب، ماذا يكره، ما الذي يثير حماسه، وما الذي يشعل بركان غضبه، أي الألعاب يحبذ، أي الألوان يحب، أي الأشياء يفضّل، وإلى أي المطربين يستمع، طريقته في المزاح، أسلوبه في الابتسام والضحك، في الجد والصرامة، في الأكل والشرب.. كنت أقلده في كل شيء؛ حتى صرت كأنني النسخة المؤنثة منه.

يا ألله! كيف الفكاك؟؟ متى يخرج مني هذا المستعمر ويهبني حريتي؟؟ هذا الأسمر الجميل استعبد ذاكرتي وغريزة الحس عندي. خمس سنوات وأنا أعشقه بصمت وهو لا يدري، وأنا أدري أنه لا يدري، ولا أدري لِمَ لا يدري.

خمس سنوات وهو يعيش في عصب إحساسي، يسكن أوردتي، يتدفق كالدم في شراييني، يسافر في أخيلتي، ويعشش في مخيلتي، أجده يتعايش معي في كل تفاصيلي الخاصة، ويشاركني أحلام اليقظة والمنام، يتمثل في رغوة الصابون على وجهي، في رائحة النعناع على فرشاة أسناني، في تماوج جدائل شعري وخفقات الحنين في قلبي.

آه.. ماذا فعلت بي أيها الأسمر؟؟؟

كم أنا جبانة! لماذا لم أقل له إني أحبك.. إني أشتاقك.. إني أتعذب لغيابك وأتفحم لفراقك.. إني وإني وإني؟؟

لكن ما جدوى ذلك إن كان في عرف مجتمعنا أن يكون هو البادىء، الشاب هو من عليه مصارحة الفتاة أولًا.

من أقترح هذه الأفكار السخيفة وعلقها على جيد الفتاة الشرقية كقيمة جوهرية وقناعة راسخة لا تقبل التأويل ولا تعرف التزحزح؟؟؟ لماذا لم أتحرر من هذه القيود المجتمعية الخزعبلية الظالمة وأذهب إليه وأحتضنه بشدة وأقل له إني أحبك؟؟؟

كان قلبي ينتفض كطائر ذبيح عندما أسمعه يناديني باسمي، وتتكهرب أعصابي وقتما يجلس قربي، ويعتريني التشوش وأفقد التركيز حينما يضمخ عطره أنفاسي ويسافر في خياشيمي.

يشتعل فتيل الغيــرة داخـلي عنـدما أراه يتحـدث للأخــريات أمـامي ويتجاهلني، خاصـةً مـودة والتـي تمازحـه كثيــرا؛ فـأختطف دفاتــري بعصبية وأذهب خار ج القاعة لأخبيء وجهي بـين كفـيّ باكيـة، فكأنـه يعـرف السـر؛ فيزيد من حدة إثارة مشاعـري واهتياج أعصابي.

خمس سنوات وأنا لم أذق للطعام شهيةً ولا للنوم رغبـةً، ومـا فارقـت الدموع وسادتي؛ فأنا بطبيعتي كتومة، حساسة، وعنيدة؛ فهذه الثلاثية دمـرتني؛ كتومـة بحيـث لا أسـمح لأحـد أن يشـاركني أسـراري مهـما كانت أواصـر المحبة بيننا، حتـى ولـو كانـت أعـزّ صـديقاتي، حساسـة، قلبي المـرهف يهتاج لأقـل مــرور نسـمة وجـد، وعنيـدة لأني أمـارس مازوخيــة المكابــرة والتجاهــل واللامبــالاة في حـين أن قلبــي يغـلي في صدري كالمـرجل.

خمس سنوات وأنا أكلف نفسي- فـوق طاقتهـا وقلبـي فـوق احتمالـه، خمس سنوات وأنا أعاند، أكابـر وأتجاهـل، لم أحـاول حتـى مجــرد أن ألمّح بحبي له.

أثناء حفل التخـرج أعلن خطوبته على مودة، تلك الفتاة التـي كانـت دائمًا تـرافقه، وكنا نسخــر منهـا وننعتهـا بالمتحــررة، ونصـف سـلوكها بالمنحـرف، كيف أرتضاها زوجة وهـي ليسـت أجمـل منـي ولا أكثــر مني حشمة ووقاراً وليست على مقاييس التقـيم المثـالي لسـت البيـت وفق قواميسه الحياتية التي حفظتها عن ظهــر قلـب وطبقتهـا أمامـه بكلياتها؟! هناك خطأ ما، هو حبيبي أنا ونصـيبي أنـا، أنـا مـن أحببتـه

أكثـر ، أنا من يمكنها إسعاده، أنا مَن تغيـرت لأجله، أنـا الوجـه الآخــر له والنسخة المؤنثة منه.

لم أحتمل الصدمة؛ فانهـر ت مغشيًا عليّ، ولم أفق إلا وأنا في المستشفى أهذي بنوبة جنون هستيــرية أمـام الجميـع، وهـم فاغــرو أفـواههم ينظـر ون إليّ بدهشة مختلطة بالشفقة وأنا أردد نائحةً ببكائية حارقة: هي لم تكن أجمل مني، وهو يجب أن يبدأ أولًا!!

تنبهني في سهوي صـرخات فيـروز المتأوهة في نهاية أغنيتها..

راجعٌ من صوبِ أغنيتي يا زمانًا ضاع في الزمنِ

صوتها يبكي فأحمله بين زهـر الصمتِ والوهنِ

من حدودِ الأمسِ يا حلمًا زارني طيـرا على غصنِ

أيَ وهمٍ أنتَ عشتُ به كنتَ في البالِ ولم تكنِ

---

*البرليمات : مفردها برليمة ، كلمة عامية شبابية سودانية ، تطلق على الطالبات الجامعيات في سنتهم الأولى ، المذكر منها برليم .

غياهب الحلم

-1-

البـدر البـازغ المتخفـي في حيـاء خلـف السـحب الــرمادية الكثيفة المتكدسة على صفحة السماء يناور الإطلال عبـر فـرجاتها حينًا بعد حين.

الأشـجار المورقـة الوارفـة تتمايـد أفــرعها مـع حفيـف الــريح نشـوى كدراويش يهدهدهم الذكـر في ليلة مولد نبوي.

نباح الكلاب المتـرامي يكسـر صمت الليل المتسـرب هدوئه في أوصـال المتعبين-راحةً واستجمامًا- من آن إلى آن.

رئتاهــا المشــبعتان بــرذاذ البحــر الــدافق تســتحثان المنسي- مــن الذكـريات؛ فتنكأ بحاد أظفارها جـروح الماضي التي كانت عـلى وشـك الاندمال، وتجـري في أعماقها مشاعـرها الثكلى نهـرا من عذاب، وتثيـر شجونًا عميقةً يغطيها تجلدٌ واهٍ يمـانع دموعًـا متوثبـةً مـن الانـدلاق ، كأسـر ارٍ دفينةٍ يضيق عنها صدر صاحبها في وهنٍ تقاوم الذيوع.

وقفت نجلاء على حافـة عـلى البحـر الهـائج.. وجههـا المكفهـر الـذي يغلفه الضياع يـرنو إلى الأفق بآلام حادة.

تتلاعب الـر ياح العاتية بخصلاتها المتهدلة يمنةً ويسـرةً، وحلقهـا الـذي ضاع فيه الصوت تحشـرج بالعويل، وعيناها المتورمتان بالبكـاء جفـت في محجـريهما الدموع.

وقفت تحدق بأسًى في عتمة الأمواج التي تعلو وتهبط ولا يكـاد يـرى أو يسمع منها شيءٌ بفعل اسـوداد الليـل وهدوئـه.. سـوى مـا يحدثـه تلاطمها من ارتجاج على الضفة المتهالكة، أو ما يظهـره البـدر الحيّـي بين الفينة والأخـرى.

سـرحتْ بعينيها الشاردتين تستدعي بذاكـرة جـرحى مـا كـان بـالأمس مُخَبّئًا في رحم الأخيلة حلمًا جميلًا؛ ليولد على أرض الواقع جنينٌ ميـتٌ مشوه الملامح.

نظـرتْ نجلاء إلى البحـر الغائر حيالها.. وقفت على أمشـاجها وفـردت ذراعيها، وارتفعت بقامتها كطائر بطـريق يحـاول الطيـران، ثـم رمـت بثقلها في البحـر، وغابت خلالـه كـما تغيـب النبتـة الطافيـة في جـوف الدوامة.

-2-

كانت نجلاء تؤمن بأن المشاعر وحدها ليست كافيةً لإقامة علاقة عاطفية يراد لها أن تعمر؛ فبذرة الحب لكي تنمو في بيئة معافاة لا بد أن تسمّد بالتفاهم؛ لأنه الوحيد القادر على تهيئة المناخ الملائم لتلك النبتة لتقوى وتزدهر؛ لذا اختارت الشاب الذي يمكن أن يشاركها حياتها ويصبح زوجها وأبا أولادها مستقبلًا.

كان زميلها بالكلية.. قضت معه أخصب سني عمرها وأروعها على الإطلاق.. تشبعت بحنانه ولطفه، وتجمّلت بمشاعره التي دثرها بها دفئًا وعطفًا.

تلاقحت أفكارهما، ونضجت علاقتهما، وثملا من الحب إلى حد الاكتفاء.

لقد عشقته عشقًا راسخًا لم يعر ف الاهتزاز أو التلون.. عشقًا أقرب إلى الإدمان منه إلى الوله.. لم تتخيل حياتها بدونه ولا نفسها مع غيره.

نمت علاقتهما تحت سقف السرية؛ فهي الفتاة القروية الميلاد والمنشأ، والمجتمع الذي تعيش فيه لا يؤمن بالحب ولا بزواج الغرباء، ولسوء حظها أنها البنت الوحيدة وسط خمسة عشر ابن عم، وابن العم حسب تقاليد المجتمع القروي هو الوريث الشرعي لعمه الحي من تركة البنات، فهو الذي يُشار ويُستأذن عندما تصبح ابنة عمه في سن الزواج .

عاشت نجلاء أسوأ أوضاعها وصراعاتها النفسية في كيفية التوفيق بين قلبها وعقلها، بين حبها لأحمد واستمرارها فيه، وبين إقناع أهلها بالقبول بهذا الاختيار، ولكنها آثرت التريث ريثما تتخرج؛ فهي الآن تتذرع بالدراسة، وبأنها لا تفكر بالزواج حاليًا، وبعد التخرج

ستفاجئ الجميع بعلاقتها بأحمد، وتقف أمامهم من أجل الفوز به، وسترفض طريقة المجتمع البدائية في الزواج هذه؛ لأنها تؤمن بمبدأ الاختيار، وأن الزوجة لها الحرية في ذلك، وليست قرباناً يقدم لابن العم ليذبحه؛ تقرباً لكبر يائه المزيف، ولا إرضاءً لفحولته المتسلطة، ولا إشباعاً لغر يزته البهيمية، ولا الزواج مجاملةً لكسب ود الأسرة، ولا حفاظاً على التقاليد المجتمعية المقدسة، إنما هو شأن شخصي، وحياة خاصة تتعايشها الزوجة بحلوها ومر ها بعيداً عن سخط الأسرة ورضائها، وخارج نطاق دائرة المجتمع المجحف المتسلط، حياة أكثر ما يميزها أنها تمازج الشخصين وتوافقهما ليصيرا شخصاً واحداً.. بتقاربهما وتفاهمهما وانسجامهما، وبتقبلهما عيوب ومساوئ بعضهما قبل محاسن بعضهما، حياة سرمدية لشخصين أرادا تأسيس مستقبلهما وبناء عش الزوجية خاصتهما على مبادئ وقيم مفعمة بكل ما هو عامر بالأفكار العصرية المتوازنة، ومشبع بالحب والحنان والإيثار والشعور النبيل.

كان قلبها واجفًا ليلة التخرج وهي تقف على المنصة؛ لأول مرة تشعر بالخوف والفرح في آن واحد، عيناها الزائغتان تذرفان الدمع المرير، وكل من حولها يعتقد أنها دموع الفرح إلا هي وحدها من تعلم أي إحساس هو ما جعلها تذرف تلك الدموع.

انجلى يوم التخرج وأقبل يوم المواجهة، تشجعت.. واستجمعت قواها، وعرفت كيف تختار التوقيت المناسب، لقد حصل أبوها على ترقية في عمله كان ينتظر ها طويلًا، فكان يتدفق فر حًا ذاك اليوم.

اغتنمت تلك الفرصة وانفردت به، وحكت له عن أحمد؛ صمت طويلًا، وتردد في الإجابة؛ فلاحقته برجائها واستعطافها، ونظرا للإحساس الذي يغمره لحظتها؛ وافق موافقةً مشروطةً بأن يمهلها سنةً، فإذا لم يأتِ الشاب خلالها فسوف يزوجها لابن عمها سعد، وأضاف متعللًا بأنه لا يريد خسران الأسرة ولا الوقوف ضد القبيلة من أجل الغريب.

طارت نجلاء فرحًا، وأخبرت أحمد بالأمر، فهو قد أخبرها مسبقًا بأن خاله بألمانيا وجد له فرصة عمل ممتازة وهو على أهبة الاستعداد للمغادرة، ووعدها بأن الراتب مُجْزٍ جدًا، وأنه في أقل من السنة سوف يأتي ويتمم مراسم الزواج.

لكنه في الحقيقة كان يكذب؛ فهو يريد أن يخاطر مع بعض أصحابه كمهاجر غير شرعي، ويمخر بحرا عبر مراكب الصيد من تركيا إلى اليونان ثم إلى ألمانيا، ويحاول إيجاد فرصة عمل هناك كأي لاجيء غير قانوني يحلم بالاستقرار بأوروبا.

شرع يسقيها خمر الأحلام بكأس وعوده المجهولة، وطفقت هي تتلذذ بالنبيذ المختمر بالتفاؤل حتى ثملت وانتشت، وعاشت الحلم بكل تفاصيله .

ذهب أحمد محملًا بحقائب الآمال المعبأة بإرهاصات الغيب وأحلام الغد الآتي، وَدَّعَته نجلاء بالقبلات والدموع والأذرع الدافئة التي ستحتضن الهواء في غيابه ريثما يعود ظافرا مثقلًا بالأشواق الحارة والأمان المرتقب .

مـرت سبعة شـهور ونجـلاء مـا تـزال تتعـايش عـلى ذكـريات الأمـس الحميمة وتتعاطى مع أمانيـه الحلـوة، وعيناهـا الوجلتـان المشـبعتان بالآمال المتطلعة إلى أفق الغيب الغائم بالوعود الـريانة، تنتظـر بصبـر ضائق بزوغ فجـر الأحلام المـرتقب.

لم تـدر نجـلاء وهـي في قمـة انغماسـها في أحلامهـا المعسـولة تلـك أن الأحزان لها بالمـرصاد، وأن الأقدار تخبئ لها مـا لا يحمـد عقبـاه؛ فقـد أتتها الأخبار الصـادمة أن أحمـد قـد مـات غـرقًا في البحـر المتوسـط وحملت الأمواج جثته إلى سواحل اليونان.

كانت الصدمة لا تحتمل، قاسـيةً إلى حـد الضـياع؛ فـدموعها المنهمـرة بغزارة تجسد هول الفاجعة وعمق المأساة، ظلـت نجـلاء تـبكي وتـبكي حتى كادت تفقد بصـرها. وأثنـاء معايشـتها إحسـاس الألم ومعاناتهـا مـرار الفقد ولوعة الحـرمان.. علا صوت ابن عمها الغاضب.. المـدعوم بسـند الأسـرة وتأييـد القبيلـة؛ فلـم تفلـح محاولاتهـا في إخـراسه ولا إرجاء ما ينوي فعله، لامهـا أبوهـا عـلى تصـرفها واعتبـر رفضـها ابـن عمها نشازًا وتبـريـرا غيـر منطقي؛ فمـن قبـل كانـت تـتحجج بأحمـد، وأحمد قد مات؛ فليس أمامها سوى الموافقة على سعد .

كان وقع الخبـر عليها كالصاعقة، وهـي لم يجـف دمعهـا عـلى أحمـد، عاد سعد ليجدد الجـراح ويشعل في أعماقها بـراكين العذاب.

وبينما هي تكابد النيـران وتقـاسي الأمـريْن.. فجـأة تذكـرت فجيعـةً أخـرى لم تكـن في الحسـبان، كانـت تستـرها وعـود أحمـد الزائفـة

وأوهامه البـراقة؛ فأحمد قبل مغادرته قد تمكّـن منهـا وأخـذ منهـا مـا يأخذه الزوج من زوجته.

تفتّحت عليها النيـران من كل جهة؛ كيف لها أن تواجه أسـرتها إذا مـا كشف ابـن عمهـا المسـتور؛ سـيكون مصيـرها المـوت لا محالـة؛ فهـي تعيش بين قوم عذرية الفتاة عندهم شـرف القبيلة.

لم تستطع نجلاء احتمال القادم؛ فقد شتتت فكـرها الهواجس ولعبـت بـرأسها الظنون؛ فـأرادت قطـع الطـريق عـلى الأقـدار ووضـع خاتمـة مناسبة لمصيـرها .

وقبل الزواج بيوم واحد.. وأثناء اجتماع للتفاكـر حول طقـوس الفـرح - وفي صمت ذلك الليل المظلم - تسللت نجلاء خلسةً إلى البحـر الـذي يـرقد بالقـرب مـن القـرية، وأنهـت حياتهـا فيـه غـرقًا، اسـتودعته أسـرارها وأحلامها وخيباتها؛ فهـو في نظـرها الصـدر الـرحب الوحيـد الذي لا يفضي بأمـر ولا يكشف سـرا .

فقد أنهت حياتها بنفس الطـريقة التي انتهت بهـا حيـاة مـن أحبـت، فكأنما لم تجد تلك القلوب العاشقة خزانةً أكثـر أمنًا يمكنها أن تُوْدِعهـا أقدس مقتنياتها غيـر قاع البحـر.

شجون بلا زاد

أرخى الليل سدوله الحالكة على ضوء الشمس الباهت؛ ليفسح للظلام مساحةً ليحوي فراغ الكون بعتمته البغيضة، ووسقت السدفة معالم القرية وآوت قاطنيها كما يأوي طائر القطا فراخه بجناحيه.

هبت رياح الجنوب محملةً بالرذاذ ورائحة المطر، راق الجو وصفت الحياة في روح القرية .

تمددت القامات المكدودة على أسطح الألحفة المفروشة على الأسرة الوطيئة الموضوعة على ساحات البيوت وبراحاتها الواسعة.

تسربت الراحة إلى أوصال الأجساد المتعبة؛ فغفت ودبّ الخدر والنعاس في أجفان العيون المجهدة؛ فغَطَّت في نوم عميق.

كل من حولي تسمر بالسكون والهدوء والسكينة ما عدا أنا، بقيت صاحيًا أتابع بترقب إلتماعات النجوم وحركة المذنبات وهي تشق عنان السماء، ثم ما تلبث أن تخبو كما يخبو عود ثقاب بعد توهجه في يد طفلٍ شقي.

كنت لحظتها وأنا على سريري والنسائم الناعمة تداعب أطراف الشرشف؛ فيحدث حفيفها طرقات خفيفة لها على المسامع وقع خاص، كنت أحتضن جهاز الراديو كما تحتضن الأم رضيعها بحنو، وأستمع بشغف إلى برنامجه اليومي (أقبل الليل)، وفي خواتيم الحلقة

صدح الموسيقار الجميل محمد الأمين بـرائعته (زاد الشـجون)، والتـي كانت فاكهة الحلقة وقتئذ...

أثارت فيّ الأغنية أوجاع الالتياع لذكـريات قديمة؛ مما حـدا بي لمطـاردة شجون عميقة لماضٍ غابـر لكنها كانت بلا زاد.

في ذات اللحظـة تنامـت لمخيّلتـي ذكــراها.. ألهبـتْ كلـمات الأغنيـة عاطفة الحس عندي، وحـركت مشاعـري التي بالكاد تكون قد همدت وما عادت تستشعـر بنفس الدفء الوجداني الحميم .

قالت لي في آخـر لقاء بيننا: أنا سأتزوج!!! أبي جاءه شـاب آخــر طالبَـا يدي، وأنا لبثت أتهـرب كثيـرا كلما أتاني أحد يطلب يدي.. حتى متـى أظل أهـرب هكذا مـن أسـئلة أبي المحاصـرة ونظــرات أمـي المعاتبـة وهمهمات إخوتي الغاضـبة؟ وحتـى متـى تظـل أنـت متحجــرا هكـذا كتمثال لا تقوى على قول شيء ولا اتخاذ خطوة إيجابية في علاقتنا؟

أشحت بوجهي عنهـا محـاولًا الهــرب مـن نظــراتها المتوسـلة القاتلـة وعينيها البـريئتين المعاتبتين، ولم أستطع قول شيء سوى: سعاد، أعتقد أنـك تعلمـين جيـداً لأي مـدًى أحبـك، ولأي مـدًى كانـت أمنيتـي أن يجمعنا سقف واحد، ولكن لم تـأتِ الأمـاني كـما نشـتهي، لقـد قسـت الظـروف عليّ كثيـرا، توفي والـدي في ظــروف غامضـة جـدًا وتــرك لي المسئولية التي لم أكن أحسب لها حسابًا.. أمي المـريضة، وسبع أخوات كلهن يدرسنْ.. فماذا عساي أفعل وأنـا لا أملـك سـوى راتـب زهيـد لا يكفي مصـروف البيت ومستلزمات البنـات؟! هـذا هـو واقعنـا الـذي قسمه الله لنا، فلنـرض به يا سعاد..

تزوجي.. فأنا لم أعد قادراً على إسعادك؛ فلقد كسرت الحياة مجاديفي وتركتني في عرض البحر بلا شراع، اذهبي وتزوجي؛ فالعمر يتسرب عبر ثواني الزمن التي لا تلتفت مرةً أخرى للوراء إذا ما ذهبت، وأتمنى لكِ السعادة من آخر القلب، وستبقين رغم عنت الحياة أنثاي ومحبوبتي الجميلة التي سلبتها مني الظروف وخانتني فيها المقادير.

جاءت ووقفت تواجهني بوجهها وعيناها تقدحان شرراً، وامتدت يدها الرقيقة ولطمتني بالكف على خدي، وغادرت تخفي وجهها بين كفيها وصوتها يجهش بالبكاء...

تهالكتُ على المقعد جانبي وأنا أشعر بقلبي يتشقق داخلي كجدار قديم على وشك الانهيار...

لم يكن لي ثمة خيار آخر؛ فلا أريد أن أغشمها بالوصول إلى جزيرة الأحلام وأنا قاربي قد تحطم وانكسرت في عرض البحر أشرعته، هذا ما قُدِّر لنا وما أريد لنا.

كانت سعاد الشيء الوحيد الحلو في حياتي، أحببتها بصدق وبعمق، ولكن قسوة الحياة وضعت حبي لها في كفة ومسئولية أسرتي العظيمة الملقاة على عاتقي في الكفة الثانية؛ فاضطررت إلى التضحية بقلبي من أجل أسرتي.

ذهبت سعاد وأخذت قلبي معها، في تلك اللحظة وهي تخبيء وجهها الأثير بين كفيها البضتين وتغمر الدموع ملامحه المحبوبة.. كم تمنيت

أن أحتضنها بحنو، أن أربت عليها بعطف، أن أُقبِّل رأسها بمودة، وأن أمد أناملي وأمسح دموعها برفق وأقول لها: أحبك يا سعاد.. أحبك....

ضحيت بقلبي من أجل أسر تي، قلبي الذي لم يحب إلا فتاةً واحدةً اجتمعت فيها كل مقومات الجمال و فضائل الأخلاق، فتاةً كانت حينما تبتسم تمطر غيوم الحنان ويزهر ورد الاشتياق، وتتجمل اللحظة بالهوى وتنجلي المتاعب وترحل الهموم، فتاة واحدة حرمتني الحياة منها، تدعى سعاد...

تسر بَتْ دمعتان حارقتان سالتا من عينيَ لم أحفل بهما.. أحرقتا خديّ.

اشتدتْ الرياح الجنوبية، واشتد معها البرد ونوبات البكاء وآهات الشجن المحمومة، وقتها كان محمد الأمين قد ختم أغنيته التي أثارتْ الماضي الدفين ونكأت جراحًا ما تزال آلامها تنهش نسيج قلبي وتدمي عيوني، لم تخلّف لي غير أنات حارقة لشجون بلا زاد...

أنت قلبي

كان يقول لها دائماً: أمنحيني قلبَكِ.. قلبُكِ حياتي.. أنا دون قلبِكِ دون حياة...

وهي تبتسم وتداري وجهها حياءً، وتذهب خجلى لا تلوي على شيء...

كانت تعشقه لدرجة التبخر...

كلماته العذبة تداعب قلبها الصغير...

تسيطر على عصب إحساسها...

وجهه المسكون بالإلفة يهز كيانها ويحرك دواخلها...

لم تشأ أن تبوح له بشيء...

ولم تقوَ على مصارحته بحبها له...

كانت تكتفي به روحاً تسكنها وعشقاً يزلزل وجدانها...

تعشقه بجنون، وتحسه أميرها، فارسها ونبض وريدها...

تسهو مع كلماته المعسولة هائمةً...

ومع همسه الحاني حالمةً...

لكن تنقبض روحها فجأة عندما تتذكر مرضها...

يا ألله!!! ما أقسى هذه اللحظات الجميلة حينما يعكر صفوها ضير !!!

كانت مصابة بسرطان الدماغ...

منذ فترة ليست بالطويلة...

وهو مصاب بداء القلب...

obeikan.com

وكلاهما لا يعرف بحالة الآخر...
حالتها المرضية المتأخرة هي السبب الذي جعلها لا تصارحة...
ورغم ما يعتريها من حزن إزاء ذلك كانت محبته النافذة الوحيدة التي ترى الأمل من خلالها ..
تداعب كلماته الرنانة مسامعها؛ فتبتسم بنشوة الحب...
تتذكر كلماته: أمنحيني قلبَكِ.. قلبُكِ حياتي.. أنا دون قلبِكِ دون حياة...
فتضع يدها على قلبها الذي ترقص خفقاته طرباً على إيقاع الهوى...
ثم تقول محدثةً نفسها: أنا أمنحك قلبي فقط.. أنا أمنحك حياتي كلها يا حياتي..
ليتك تعلم كم أحبك وأهيم بك.. ليتك تعلم...
وتمر الأيام وهو لا يفكر إلا بها، وهي لا تحلم إلا به...
وتزداد بينهما عاطفة الحب، وتتوهج في قلبيهما لوعة الإشتياق...
وكذلك تزداد حالتهما سوءاً...
يُنْقَل هو إلى مستشفى المدينة...
يؤكد الطبيب أنه لا مناص من إجراء عملية زراعة قلب ..
وإلاّ فإنه لا أمل في الحياة....
وعند علمها بذلك جنّ جنونها، وخفق قلبها حتى كاد يخرج من صدرها...
صارت تبكي وتنتحب طول اليوم...
ذهبت إليه في المستشفى.. لم تستطع مقابلته...
أكتفت بالنظر إليه من خلال النوافذ الزجاجية الشفافة...
رأته في حالةٍ يرثى لها...

أنهمرت دموعها على خديها نهرين من عذاب...
ثم هرولت يشظيها الألم وتعتصرها الحسرة والشجون...
ينهكها المرض، تنقل إلى المستشفى؛ يجيء قرار الطبيب صادماً...
لا أمل في الحياة، فقد أستشرى الداء وتوسعت خلاياه...
إنها متوفاة لا محالة...
وحين علمها بذلك.. ذهبت إليه في المستشفى ثانيةً...
كان غائباً عن الوعي تماماً...
جلست قربه.. يغتص حلقها بعبرة الموقف ودموعها المتدفقة ؛
تحرك الشفقة في الصخر الأصم...
نظرت إليه نظرةً أخيرةً مودعةً.. نظرة هي خليط من الألم والحسرة والشفقة والحب والعاطفة والضياع والأسى وكل مشاعر الحزن...
كانت تتمنى أن يسمعها؛ فتقول له إنها تحبه، إنها تتنفسه، إنها تهيم به، إنها وإنها...
لكن دون جدوى؛ قد فات الأوان...
كان يرقد في سَبات كجثة هامدة...
وأخيراً لم تشأ أن تفعل شيئاً سوى أن لخصّت كل مشاعرها بقبلة وضعتها على جبينه، ثم رحلت ثكلى....
تمر عشرة أيام...
يصحو من غيبوبته.. ليجد جمهرةً حوله من أهله، والطاقم الطبي...
سألهم: ماذا جرى؟؟؟!

قال له الطبيب المشرف على علاجه مبتسماً: حمداً لله على السلامة يا بطل، نجحت العملية...

قال فاغراً فاهه بإندهاش: أية عملية؟؟؟!

قال الطبيب: عملية زراعة القلب...

قال متعجباً ومستفهماً بعد أن تحسس بوجل صدره بيده من الخارج: زراعة القلب؟؟؟!

أجابه الطبيب: نعم، وقد نجحت العملية...

قال وقد أتسعت عيناه بالدهشة: أين وجدتم القلب؟؟ ما الجهة المتبرعة؟؟

مد له الطبيب بظرف يحوي رسالةً، ثم أضاف: الجهة المتبرعة طلبت أن نعطيك هذه الرسالة بعد العملية!!!

أختطف الظرف، وسارع بفضه بفضول، متلهفاً لقشع ضبابية اللغز...

كان فحوى الرسالة: لطالما طلبت قلبي مراراً وتكراراً.. فإن كنتُ قد وهبتك بالأمس حبه.. فاليوم أهبك إيّاه كله...

لم أجد بقعةً طاهرةً يمكن أن يعيش فيها قلبي بأمان غير فؤادك... لذا آثرتُ أن يكون داخلك...

ويكفيني أن أكون هناك في قبري وقلبي في صدرك تردد خفقاته إشتياقي لك...

وإن كان بالأمس حيائي قد منعني من البوح لك بإحساسي.. فأنا أقولها لك اليوم، وآمل ألا تكون كقبلة اعتذار على جبين ميت: أحبك...

فإن كنت قد طلبت أن أمنحك قلبي معنوياً، فاليوم أمنحك إياه معنوياً وعضوياً...

obeikan.com

الفهرس

الإهداء..... 5
تقديم 7
1- الضـريـر..... 11
2- المقعد..... 13
3- الفقد فجيعة الموت..... 15
4- البـريق الكاذب..... 18
5- الضميـر في مشنقة الحياة..... 21
6- لعنة الأقدار..... 29
7- لقد رأيته 36
8- بثينة..... 38
9- فارس أحلامي..... 43
10- الحكيم..... 45
11- شزوفـرينيا 49
12- إحتضار وطن 51
13- الصورة..... 54
14- السياسة لعبة قذرة..... 63
15- إشتباه..... 66
16- وأد الأمنيات..... 74

obeikan.com

17- الوهم..... 78
18- غياهب الحلم..... 85
19- شجون بلا زاد 92
20- أنت قلبي 96
الفهـرس..... 101

opeikan.com

"لا تسجن معرفتك و بادل كتبك"

القراءة هي الحياة، فنحن نقرأ لنتعرف على خبرات وحكايات الآخرين، نقرأ لنتعلم شيء جديد، لنتعرف من قرب على عوالم قد لا نعرف عنها شيء، لذا صديقي القارئ لا تسجن معرفتك وبادل كتبك مع الآخرين.

فلا تجعل هذا الكتاب يقف بين يدك وحدك، فمن خلاله قد تكون أستمتعت، وتذوقت متعة القراءة، وقد تكون تعرفت على شيء جديد، فلا تبخل عن من حولك بهذه المتعة.

موقع دار الكتب

"نحن نحترم الكتاب"

obeikan.com

obeikan.com

إصدارات موقع دار الكتب:

1. **صاحب المقام**
2. **إيران الخميني.. شرطي الغرب**
3. **رياح القبور**
4. **خواطر قلب في زحمة الحياة**
5. **ومضات**
6. **قصائد في عشق النساء**
7. **الفوضى العالمية.. من العصور الامبراطورية للتنظيمات السرية**
8. **الذين أوتوا الحب**
9. **كلام لن يفهمه غيرك**
10. **فيرجينيا سيكريت**
11. **مدينتنا غير الفاضلة..إرحلي**
12. **ومضات من الماضي**
13. **طال الرنا**
14. **حرية وكرامة**
15. **حوار مع النفس**
16. **كارمن**
17. **ومضات من الماضي**
18. **رياح القبور**
19. **الفرنسين والشرق**

oberikan.com

20. اغتيال رفيق الحريري..
21. البحر الميت وكفة برج الميزان
22. العمر لحظات
23. آية الله الخميني بين الثورة و الطغيان.
24. قبل أن أموت.
25. فتاة شرقية.
26. كاتيا.
27. شمس.
28. التعلم النشط.
29. نبضات مغترب.
30. رأيت الشيطان.
31. حل قضية الجبر والاختيار وقضايا آخرى.
32. لوزة قطن.
33. حياة وحنين.
34. رحيق العمر.
35. عواطف.
36. الوهم.
37. الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.
38. تاريخ مصر الفرعونية.
39. ديوان البت سعاد.

obeikan.com

40. الكفايات المهنية للتعليم ما قبل الجامعي.
41. الموعد
42. اذا لم تزد على الحياة شيئا كن انت زائد عليها
43. عائدون من بين الانقاض
44. -حذاء جديد
45. حلقات مفرغة
46. يوميات طبيب في وطن مسلوب
47. أصحاب الكرش
48. جئت ورحلت
49. سخصية مصر
50. ديور... ابن الحرب
51. رجل مدخر
52. ليلة فى الرنفة
53. استراتيجيات التسويق عبر الفيس بوك
54. يوميات مع نفسى
55. سلسلة القائد المتوازن.
56. يوميات واحد فيس بوكاوى
57. نصف انسان
58. اريد ان اكون زوجة ثانية

obeikan.com